



رسول الحرب في القرن العشرين

وحلم إمبراطورية الدم الأزرق !!

عصام عبد الفتاح

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة - 4 ميدان حليم خلف بنك فيصل -

شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : هتلر .. رسول الحرب في القرن العشرين

وحلم إمبراطورية الدم الأزرق!!

المـــــؤلف : عصام عبد الفتاح

رقم الإيـداع :

الطبعة الأولى 2010

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

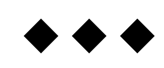
ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا .



Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

المقدمة





أصبح مصطلح «نازية» من بين أشهر المصطلحات السياسية والإعلامية في القرن العشرين.. ورسخ في الأذهان أنه وصفٌ خاص للأيديولوجية الألمانية المبنية على العنصرية.. والتشدد ضد الأعراق الأخرى.. وكذلك علوّ جنسهم البشري على باقي الأجناس الأخرى.. وهي أيضاً أيدلوجية آمنت بقمع وإبادة الأعراق البشرية الأدنى.. وبالمقابل الحفاظ على «تسامي» الأعراق العليا.

وبذلك اقتربت النازية في مضمونها كثيراً من حركات أخرى معاصرة لها مثل « الفاشية» وغيرها من أيدلوجيات أخرى.

فكيف استطاعت مثل تلك الأيديولوجيات المستجدة تاريخياً تملك كل هذه الهيمنة والانتشار بهذا الشكل الذي سادت به معظم دول العالم بين الحربين العالميتين؟

الإجابة نستطيع الآن فقط أن نرصدها بدقة.. وموضوعية لم نكن نستطيعهما من قبل.. فبعد مرور أكثر من نصف قرن على «سقوط» تلك النظم المستبدة في ألمانيا وإيطاليا.. تمنحنا تلك المسافة الزمنية الفاصلة القدر المطلوب من البعد عن سخونة الأحداث لرصدها جيداً.

ونقول ـ من وجهة نظرنا ـ أن كل تلك النظم الأيدلوجية ينطبق عليها قول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فقد كانت كلها أيدلوجيات فارغة.. ومُفرغة من المحتوى الواجب على أية عقيدة احتواءه.. وهو أن الحاكم هو بشر معرض للخطأ من قريبٍ أو بعيد.. فإذا سعى الحاكم ليقنع شعبه بأنه قد جاء إليهم بمفتاح الجنة في صورة ما يدعو إليه من أفكار خاصة.. سواء نازية.. أم فاشية.. أم شيوعية.. فقد حَوَلَ الحاكمُ نَفسَه ها هنا إلى إله.. ولابد لكل آلهةٍ مزيفةٍ من السقوط.. ولابد لرسالته أن تتوارى من ذاكرة التاريخ.. طال أمد الحاكم.. وتحكمه في شعبه.. أم قصر.

ولأن تلك الحركات كانت مرتبطة بأفكار خاصة قائمة على العِرقية.. فقد آمن بها أشخاص خارج نطاق الوعي الحضاري.. وشاءت لهم أقدارهم أن يحكموا أوطانهم.. وتذلل لهم يدُ القدر مقاليد ذلك.. فعملوا على تطبيق رؤياهم مهما كلف ذلك شعوبهم من خرابٍ.. ودمار.

وفي مقدمة هؤلاء الحكام يأتينا ذكر «هتلر» أشهر طغاة.. ومستبدى القرن العشرين.. ذلك الطاغية الذى كاد بالفعل ذات يوم أن يحكم الدنيا.. وهوما كان بالنسبة إليه حلماً إن مكنه القدر منه كان سيحكم العالم وكأنه قطيع من الغنم .. يمسك بلجامه ومقوده أصحاب الدم الأزرق من بنى جلدته.. لكن كان القدر رحيماً تماماً بنا.. وأنهى أسطورة ذلك الطاغية في وقتها المناسب.

وقد قلنا في كتب سابقةٍ لنا أن الاستبداد المنافي لنواميس «الفِطرة» التى لا تعرف إلا الحرية.. وحكم القانون.. هو «الجين»الأساسى في تركيبة هذه النوعية من الحكام.

وقد تنبه فلاسفة أوربا قديماً للاستبداد من قبل الحكام لشعوبهم وحاولوا تنظيره.. وذُكِرَ عن سقراط قوله : أن هذه الذات المستبدة تتسم بخصال ثلاث:

(1) الاستسلام الروحي لدي المحكومين .

(2) انعدام الثقة بينهم .

(3) خمول عقل الحاكم والمحكوم إلى درجة عدم إدراك أيٍ منهما لما يمارسه الحاكم .. أو يُمارس عليه ـ المحكوم ـ من استبداد.

وهو ما يلخصه أرسطو بقوله:

«أن فقدان الرغبة في الاعتناق من الاستبداد لدى المحكومين.. وانعدامها لدى الحكام.. تصبح ضمانة استمرار هذا الوضع رهناً بقدرة الحكام على التصدي للراغبين في الوصول للسلطة.. »

ولو قُيض لكل فلاسفة التاريخ ممن نستطيع اعتبارهم المحققين الأشهر في تفسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم.. أن يشهدوا ما حدث بين الحربين العالميتين من مظاهر الاستبداد.. لحاروا بلا شك في وضع نظريات تفسيرية مناسبة لها .. وكأن استبداد طُغاة هذه الفترة كان يصدر من منبع استبدادي خاص.. فهو كما قلنا استبداد مرضي بحت يعود لعوامل جينية.. وبيولوجية داخلة في تركيبة هؤلاء الخاصة.. لا تذبل إحدى خلاياه حتى تُولد أخرى من أصلابهم بدلاً منها.

عموماً.. وقبل أن يأخذنا هذا المدخل لبدايات منحدر تاريخي مختلف قد يحيد بنا عن مقصدنا من خلال هذا الكتاب.. هيا إلى عالم هتلر.. أشهر طغاة.. وقادة القرن العشرين.. وأعظم مجنون كاد أن يحكم العالم.

عصام عبد الفتاح

El btrawy@yahoo.com







تمهيد

ألمانيا بين الحربين !!!

◆◆◆

خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى بهزيمة مذلة مما أجبرها على التوقيع على معاهدة فرساي.. تلك المعاهدة التي حَمَلَتْ ألمانيا مسؤولية الحرب.. وأرغمتها علي دفع تعويضات للمتضررين.. مما أثقل كاهل الاقتصاد والشعب الألماني بالكثير من الأعباء المالية.. وَوَلَدَ شعوراً بالذلة والمهانة بين أفراد الشعب والرغبة في استرداد الكرامة الضائعة للوطن.

سياسيًا.. نتج عن الهزيمة سقوط الرايخ الثاني وتأسيس جمهورية فايمار[1].. التي بدأت برنامجاً سرياً لإعادة تسليح ألمانيا خارقة بذلك بنود معاهدة فرساي.. وحتى اعتلى أدولف هتلر قمة هرم السلطة في عام 1933 وحينئذ أعطي البرنامج أولوية أولى.. مما تطلب تقوية بعض العلاقات الاقتصادية مع الدول الغنية بالمواد الخام التي تحتاجها الصناعات العسكرية والتى كان يتم استقدامها وقتذاك من الصين وفقاً لتحالف «صيني ـ ألماني» غير رسمي.

وبناءً على نصيحة «جواشيم فون ريبنتروب» وزير خارجيته الجديد.. اختار هتلر إنهاء التحالف مع الصين.. في سبيل الفوز بالتحالف مع اليابان الأكثر قوة وتحضراً.. وتم ذلك بشكل رسمي في فبراير من عام 1938 عندما تم توقيع اتفاقية المحور مع اليابان.

وفي إحدى خطبه أمام «الرايخستاج».. تحدث هتلر عن اعتراف ألمانيا بولاية منشوريا التى احتلتها اليابان وأصبح لها السيادة الإسمية عليها.. وتخلى عن المطامع الألمانية في مستعمراتها السابقة في المحيط الهادي.

وأمر هتلر بوقف إرسال شحنات الأسلحة إلى الصين إلى جانب استدعاء جميع الضباط الألمان المنضمين للجيش الصيني.

(1) المقصود بها الجمهورية التي نشأت في ألمانيا في الفترة من 1919 إلى 1933 كنتيجة للحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب.

اللوبي الصيني

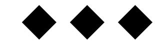
في هذا الوقت كان بعض قادة الجيش الألماني يفضلون استمرار ألمانيا في تحالفها مع الصين.. وكان كل من وزير الخارجية.. كونستنين فون نيورات.. ووزير الحرب.. فيرنر فون بلومبرج.. يطلق عليهما اسم «اللوبي الصيني» لشدة تأييدهما للصين.. وحاولا توجيه السياسة الخارجية لألمانيا بعيداً عن الدخول في أية حروب خاصةً داخل أوروبا.. ولكن.. قام هتلر بصرف الوزيرين من الخدمة في بدايات عام 1938.

وانتقاماً من ألمانيا لإنهاء دعمها للصين في حربها ضد اليابان.. قام القائد العام الصيني شيانج كاي شيك.. بإلغاء الاتفاقيات الاقتصادية بين الصين وألمانيا.. وكان من نتيجة ذلك أن حُرِمَت ألمانيا من المواد الخام.. مثل التنجستين[2] الذي كانت تزودها به الصين في السابق.. وأدى إنهاء التحالف إلى زيادة مشكلات ألمانيا المتعلقة بإعادة التسلح.. حيث إن ألمانيا أصبحت الآن مضطرة إلى اللجوء إلى احتياطي العملة الأجنبية المحدود لشراء المواد الخام من السوق المفتوحة.

كما شهدت فترة حكم النازي التي سبقت الحرب العالمية الثانية الكثير من مشاهد التحول في السياسات الخارجية لألمانيا.. علي سبيل المثال:

- تحسين العلاقات مع بولندا رغم استقطاع معاهدة فرساي لبعض الأراضي الألمانية لصالح بولندا ثم الاتجاه لضمها إلى ألمانيا في بداية الحرب.
- الدخول في تحالف مع إيطاليا رغم انسحابها من المعسكر الألماني في الحرب العالمية الأولى والتي يمكن اعتبارها خيانة عسكرية.. وكانت من الأسباب الرئيسية لخسارة ألمانيا للحرب.

وهكذا عرضنا في عجالة تمهيدًا سريعًا لحال ألمانيا بين الحربين العالميتين الأولى.. والثانية.. وبإيجاز تحدثنا عن دور هتلر خلال تلك الحقبة الزمنية.. وفيما يلي من سطور نتحدث عن مشوار حياته بالتفصيل .



(2) أحد الفلزات المعدنية استخدامه الأساسي في المصابيح الكهربائية حيث يمثل فيها فتيل الإضاءة .. وكان وقتها من أهم الأشياء التى تبحث عنها جميع دول العالم.

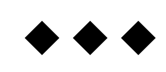


Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

بورتريه

خاص جدًا





هو واحد من أهم مائة شخصية عالمية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين [3] وهو جدير بهذا الوصف عن استحقاق بحسب ما أجمعت عليه كافة المصادر التاريخية في العالم أجمع.. وحسب ما كان.. ومازال.. وسيظل يصنفه الإعلام العالمي.

الذئب النبيل

اسم «أدولف» مشتق من الألمانية القديمة ويعني «الذئب النبيل» ويتكون الاسم مِن مقطعين Adel التي تعني النبالة.. بالإضافة إلى كلمة ذئب.. وهو واحداً من الألقاب التي أطلقها هتلر على نفسه[4] وكان يناديه به المقربون منه فقط حتى سقوط الرايخ الثالث[5].

أوكار الذئب

وقد عكست الأسماء التي أطلقها على مقرات القيادة المختلفة له في كل أنحاء أوروبا القارية ذلك.. فكانت أسماؤها وكر الذئب في بروسيا الشرقية Wolfsschlucht وفي فرنسا Werwolf وفي أوكرانيا وغيرها من الأسماء التي كانت تشير إلى هذا اللقب.. علاوةً على ذلك.. عرف هتلر باسم «آدي» بين المقربين من عائلته وأقاربه.

(هتلر) التسمية.. ومغزاها

كان – ألويس – والد هتلر ابناً غير شرعي.. وخلال السنوات التسع والثلاثين الأولى من عمره.. حمل ألويس لقب عائلة والدته وهو "تشيكل جروبر".

(3) حسب الاستطلاع الذى أجرته مجلة تايم الأمريكية نهاية القرن الماضي.

(4) الذئب بالألمانية : (Wolf) والسيد الذئب بالألمانية (HerrWolf).

(5) هو مصطلح سياسي يُقصد به دولة ألمانيا.. وبالتحديد ألمانيا النازية.. أو الرايخ الثالث.. أو كما كان يعرف رسمياً بـ الرايخ الألماني وعرف فيما بعد بـ الرايخ الألماني الأعظم كل هذه الأسماء تعود إلى ألمانيا في الفترة بين 1933 إلى 1945 عندما حُكِمَت من قِبل حزب العمال الاشتراكي القومي الألماني .

وفي عام 1876 حمل ألويس لقب زوج والدته يوهان جورج هيدلر[6].. وفيما بعد استغلت الدعاية الخاصة بقوات الحلفاء اسم العائلة الأصلي لهتلر أثناء الحرب العالمية الثانية.. فكانت طائراتهم تقوم بعملية إنزال جوي على المدن الألمانية لمنشورات تحمل عبارة «HeilSchicklgruber» تذكيراً للألمان بنسب زعيمهم المشكوك فيه.. وذلك بالرغم من أن هتلر كان قد وُلِدَّ وهو يحمل اسم هتلر قانوناً.. لكنه أيضاً ارتبط باسم (هيدلر)عن طريق جده لأمه يوحنا هيدلر.

لم يعرف الاستقرار

ومن مكانٍ لآخرغالباً ما كانت أسرة هتلر تنتقل.. حيث انتقلت من برونوإم إن.. إلى مدينة باسساو ومدينة لامباتش ومدينة ليوندينج بالقرب من مدينة لينز.

السؤال الحائر: هل كان يهوديا؟

كان جد هتلر لأبيه على الأرجح واحداً من الأخوين يوهان جورج هيدلر أويوهان نيبوموك هيدلر.. وسرت الشائعات بأن هتلر كان ينتسب إلى اليهود عن طريق واحد من أجداده.. لأن جدته ماريا شيكل[7] جروبر قد حملت به عندما كانت تعمل كخادمة في أحد البيوت اليهودية.

وأحدث المعنى الكامن في هذه الشائعات دوياً سياسياً هائلاً حيث أن هتلر كان نصيراً متحمساً لأيديولجيات عنصرية ومعادية للسامية.. وقد حاول خصومه جاهدين إثبات نسبه إلى أصول يهودية أو تشيكية.. وبالرغم من أن هذه الإشاعات لم تثبت صحتها أبداً.. فإنها كانت كافية بالنسبة لهتلر لكي يقوم بإخفاء أصوله.

(6) بحسب كتابات.. ومصادر تاريخية متعددة يمكن كتابة الاسم بأكثر من طريقة كالآتي: Hiedler وHuetler وHuettler وHitler.. وربما قد قام أحدهم بتوحيد صيغته إلى Hitler.

(7) لاحظ تسمية (شيكل) وتوازيها مع اسم العملة الرسمية للكيان الصهيوني المسمى - إسرائيل- فهل يدعم استنتاجنا ذلك يهودية جدة هتلر؟

مزاجي الطبع

تمتع أدولف بالذكاء في صِباه إلا أنه كان مزاجي الطبع.. وقد تأثر كثيراً بالمحاضرات التي كان يلقيها البروفسور «ليبولد بوتش» المعادية للسامية والممجدة للقومية الألمانية.

إرهاصات نفسية ذات مغزى

ووفقاً لبعض المصادر(8) فقد منع هتلر بقوة القانون عمل المرأة الألمانية في البيوت اليهودية.. فهل يمكننا القول أن هذا يعتبر وكأنه إثبات غير مباشر لذلك.

ليس ألمانيًا ..

على غير الشائع فإن أصل هتلر ليس ألمانياً صريحاً.. وإنما نمساوى تبعاً للدولة التى وُلَدَ فيها وهى النمسا.. حتى أن ذلك كما يقول بعض المؤرخين – وكما سنرى في حينه – كان أحد أسباب عدم ترقيته أثناء اشتراكه في الحرب العالمية الأولى.

(8) خاصةً ما جاء في كتاب للمؤرخ البريطاني روبرت جي إل وايت.

صاحب كاريزما خاصة جداً..

استطاع هتلر أن يسيطر سريعاً.. وبقوة على عقل.. ووجدان.. وتأييد المواطن الألماني فيما يشبه إجماع شعبي غير مسبوق في بلاده بسبب الكاريزما.. أوالجاذبية الخاصة جداً التي كان يتمتع بها وهو يلهب حماس الجماهير الألمانية التى كانت تكتظ بالعشرات من الألوف التي تستمع له.. وهى تصرخ مرددةً شعاراته الخاصة بالقومية الألمانية.. من نحو عبارات سمو الدم الأزرق الذى يجرى في عروق الألمان دونما باقي شعوب العالم [9] ومعاداة السامية [10] والشيوعية.

زعيم.. وديكتاتور فاشي..

- في عام 1933 تم تعيين هتلر مستشاراً للبلاد حيث عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية وفاشية.
- وفي الفترة ما بين عامي 1933 و1945 شغل منصب مستشار الدولة[11].
- تولى زعامة الرايخ [12] في الفترة ما بين عامي 1934 و1945.

(9) حسب معتقد خاص يتوارثه المجتمع الألماني جيلاً.. وراء جيل..

(10) نسوق هنا هذا المصطلح بمعناه السياسي.. والاجتماعي الدارج وهو كراهية اليهود.. وكل ما يمت إليهم بصلة في كل زمان .. ومكان.. وليس هناك تاريخياً – على الأقل في عصرنا الحديث – من هو أكثر كراهية لليهود من هتلر كما سنرى في حينه بين ثنايا الكتاب.. أما معاداة السامية بمعناها الأكاديمي واللغوى(Anti-Semitism) فهي ترجمة شائعة للمصطلح الإنجليزي «أنتي سيميتزم». والمعنى الحرفي أو المعجمي للعبارة هو «ضد السامية».. وتُترجَم أحياناً إلى «اللاسامية». والعبارة بمعناها الحرفي.. تعني العداء للساميين أو لأعضاء الجنس السامي الذي يشكل العرب أغلبيته العظمى.. بينما يُشكك بعض الباحثين في انتماء اليهود إليه.. ويعتبر مصطلح معاداة اليهود أكثر دقة وحيادًا ولا يحمل أية أطروحات خاطئة.. كما هو الحال مع مصطلح أنتي سيميتزم.. وهي مفهوم ثقافي غربي يتعلق باضطهاد الجماعات اليهودية في أوربا لكونها يهودية.. يرتكز المصطلح على الأفكار العنصرية فيما يتعلق بنقاء الأعراق.. كما يعكس الاسم قبولاً للتفسير التوراتي للتنوع البشري (الساميون أولاد سام بن نوح.. بينما الأوربيون أولاد يافث بن نوح).

(11) بالألمانية: Reichskanzler.

(12) بالألمانية: Führer.

ألمانيا أولاً..

انتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي لألمانيا [13] وهو تعبير المُقصود به السيطرة على مناطق معينة لتأمين وجود ألمانيا النازية.. وضمان رخاءها الاقتصادي.. وتوجيه موارد الدولة.. وما يستطيع ضمه إليها من دول أخرى نحو تحقيق هذا الهدف.

المدمر

قادت سياسة هتلر التوسعية العالم إلى الحرب العالمية الثانية ودمار أوروبا بعد أن أشعل فتيلها بغزوه لبولندا.

أول من أشعل شرارة الحرب العالمية الثانية..

وقد قامت قوة الدفاع التي أعاد بنائها بغزو بولندا عام 1939 مما أدى إلى اندلاع أوروبا بنار الحرب العالمية الثانية.. وخلال الثلاث سنوات الأولى من الحرب.. احتلت ألمانيا ومن خلفها دول المحور معظم دول أوروبا وأجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي.

وعندما جاء عام 1942 كان التاريخ يستعد ليكتب آخر سطور صفحة هتلر.. وهو يسدلُ الستار.. ستاراً وراء الآخر على أحلام أشهر قادة القرن العشرين.. بعد أن توالت نجاحات دول الحلفاء في السيطرة على مجريات الأمور.. وسحب البساط تدريجياً من تحت أقدام هتلر والحلفاء.

(13) Lebensarum.

حارق اليهود.. والداعي للعنصرية العلمية

تعتبر الصحة العنصرية[14] هي واحدة من الركائز التي آمن بها هتلر.. وأسس عليها سياساته الاجتماعية.. ويستند هذا المفهوم على أفكار آرثر دي جوبينو وهو أحد نبلاء فرنسا.. وعلى علم تحسين النسل.. وهو علم خاص يتبنى فكرة النقاء العرقي.. وهي الأيدلوجية التي تتبنى فكرة أن الارتقاء البشري يحدث نتيجة للتنافس بين الأفراد والجماعات والأمم.

وعند تطبيق هذه الأفكار على البشر.. تم تفسير مبدأ «البقاء للأصلح» على أنه يهدف إلى النقاء العرقي وإبادة كل «من ليس جديراً بالحياة» وكان أول ضحايا هذه السياسة هم الأطفال من ذوي الإعاقات البدنية أو العقلية.. وكانت عمليات قتلهم تتم في إطار برنامج أطلق عليه اسم (برنامج القتل الرحيم)[15].

وبعد اعتراض الشعب الصاخب على هذا البرنامج.. تظاهر هتلر بإيقاف العمل به.. ولكن في حقيقة الأمر استمر القتل سرًا.

فضلاً عن ذلك.. في الفترة ما بين عامي 1939 و1945.. قامت وحدات النخبة النازية SS.. بمساعدة بعض الحكومات المتواطئة مع العدو ومجندين من الدول المحتلة.. بعمليات قتل منظمة أودت بحياة عدد يتراوح بين أحد عشر مليون.. وأربعة عشر مليون شخص تقريباً.. واشتمل هذا العدد على حوالي ستة مليون يهودي في معسكرات الاعتقال وفي الجيتو[16] وفي عمليات للقتل الجماعي.

كذلك.. كانت عمليات القتل تتم بشكل أقل تنظيماً في أماكن أخرى.. فبالإضافة إلى الأفراد الذين كان يتم التخلص منهم بالتسميم بالغاز.. لاقى كثيرون حتفهم نتيجةً للتجويع.. والإصابة بالأمراض أثناء العمل بنظام السُخرة (أحياناً كانوا يعملون لصالح الشركات الألمانية الخاصة).

---

(14) أحد مناحي العنصرية العلمية .

(15) أطلق عليه بالإنجليزية : ActionT 4.

(16) بالألمانية: Ghetto وهو تعبير يقصد به الأحياء التي يسكن فيها الفقراء من اليهود.

وفضلاً عن قتل اليهود.. تعرض آخرون للقتل أمثال بعض البولنديين من غير اليهود (بلغ عددهم أكثر من ثلاثة مليون فرد) والشيوعيون أو الخصوم السياسيين.. وأعضاء جماعات المقاومة.. والمُثليين جنسياً.. والأفراد المنتمين للقبائل التي تحمل اسم روما [17].. والمعاقون بدنياً.. والمتخلفون عقلياً.. وأسرى الحرب السوفيت الذين ربما بلغ عددهم نحو ثلاثة ملايين شخص.. والمنتمون للطائفة المسيحية التي أُطلِقَّ عليها اسم شهود يهوه.. والمؤمنون بفكرة البعث الثاني للسيد المسيح.. والوثنيون الجُدد.. وأعضاء النقابات العمالية.. والمرضى النفسيين.

وكان مجمع معسكرات الإبادة الذي يطلق عليه معسكر اعتقال «أوشفيتز بيركيناو» واحداً من أكبر المراكز التي تتم فيها عمليات القتل الجماعي في ذلك العهد.. ولم يقم هتلر أبداً بزيارة معسكرات الاعتقال.. كما لم يتحدث أبداً علناً عن عمليات القتل التي تتم فيها بعبارات صريحة.

وقد تم التخطيط للهولوكوست بمعرفة القادة النازيين.. ولعب الدور الرئيسي فيه هاينريش هيلمر.

وبينما لم يظهر أي أمر محدد من هتلر بموافقته على القتل الجماعي.. لكن توجد بعض الوثائق التي تظهر موافقته على العمل الذي تقوم به وهي جماعات القتل التي كانت تتبع الجيش الألماني في بولندا وروسيا.. والتى كانت تُعرف باسم «إنساتزكروبن».. بالإضافة إلى أن هتلر كان يتم إبلاغه بدقة بنشاطات تلك الجماعات.

(17) هي مجموعة فرعية من الغجر تستوطن أوروبا الوسطى والشرقية

بعلم هتلر:

وتشير بعض الدلائل أيضاً إلى أنه في خريف عام 1941 اتفق هيلمر وهتلر على القيام بعمليات إبادة جماعية عن طريق السام الغاز.

وفي أثناء التحقيقات التي باشرها ضباط المخابرات السوفيتية والتي تم كشف النقاب عنها بعد مرور ما يقرب من خمسين عاماً.. ذكر خادم هتلر- هاينز لينج - ومعاونه العسكري - أوتو جونش - أن هتلر «درس بعناية مخطط غرف الغاز».

كذلك.. شهدت سكرتيرته الخاصة - تراودل يونج - أن هتلر كان يعرف كل ما يحدث في معسكرات الموت.

وفي سبيل تحقيق التعاون في تنفيذ هذا «الحل الأخير».. تم عقد مؤتمر وانسي بالقرب من برلين[18] في العشرين من يناير في 1942 وحضر المؤتمر خمسة عشر من كبار المسؤولين.. وكان يرأس المؤتمر راينارد هيدريش وأدولف إيخمان.. وتعتبر سجلات هذا الاجتماع هي أوضح الأدلة المتاحة على التخطيط للهولوكوست.

وفي الثاني والعشرين من فبراير 1942 نقل عن هتلر قوله لرفاقه : «سنستعيد عافيتنا فقط بإبادة اليهود».

(18) برلين هي عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية.. وإحدى ولايات ألمانيا الستة عشر.. كما أنها أكبر مدن ألمانيا من حيث عدد السكان.. وتعتبر برلين إحدى «الولايات المدن» الثلاث بجمهورية ألمانيا الاتحادية (إلى جانب بريمن وهامبورج).. وتأتي هذه التسمية من كون حدود المدينة هي نفسها حدود الولاية.. وهي أيضاً ثاني أكبر مدن الاتحاد الأوروبي بعد العاصمة البريطانية لندن.. وخلال فترة الحرب الباردة وتحديداً في عام 1961.. قامت حكومة ألمانيا الشرقية بتشييد ما كان يعرف بجدار برلين.. هكذا أصبحت برلين مدينة مُقسمة إلى جزئين: جزء غربي يتبع ألمانيا الغربية.. والآخر شرقي يتبع ألمانيا الشرقية.. وبقي الحال في برلين على هذا النحو إلى حين سقوط الجدار في عام 1989 وتوحيد الألمانيتين في عام 1990 واختيرت برلين بعدها عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية ومركز حكومتها والبرلمان.. وإحدى أهم المدن الأوروبية.

هتلر يعيد تفسير الحضارة الألمانية :

لعشقه الشديد لفن العمارة نجد أن حكومة هتلر وجهت عنايتها بشكل خاص لفن العمارة على نطاق واسع.. واشتهر ألبرت سبير بأنه المعماري الأول في حكومة الرايخ.. ولا يفوق الشهرة التي اكتسبها سبير كمعماري قام بتنفيذ رؤية هتلر الكلاسيكية التي أعاد بها تفسير الحضارة الألمانية إلا أن دوره الفعال الذي قام به كوزير للتسلح والذخيرة في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية.

مصمم سيارات:

أسهم هتلر بشكل بسيط في تصميم السيارة التي تم إطلاق اسم فولكس فاجن عليها بعد ذلك.. وقد عهد هتلر بمهمة تصميم السيارة وصناعتها إلى فرديناند بورش.

يحلم بألمانيا أخرى:

وبالرغم من أن هتلر كان قد خطط لإنشاء شبكة متكاملة من السكك الحديدية الضخمة.. فإن نشوب الحرب العالمية الثانية أدى إلى التراجع عن إتمام هذا المشروع العملاق.. فلو كانت هذه الشبكة العريضة والمتكاملة من خطوط السكك الحديدية قد تم إنشائها بالفعل.. لكان عرضها سيصل إلى ثلاثة أمتار.. وكانت بذلك ستفوق في اتساعها شبكة السكك الحديدية القديمة التي أنشأتها شركة «GreatWestern Railway » في بريطانيا.

تحديث هتلر:

ويعتبر الخلاف حول مسألة «التحديث» الذي تبناه هتلر من أهم الموضوعات التي يدور حولها الجدال عند مناقشة السياسات الاقتصادية التي انتهجها هتلر.

ويعتقد بعض المؤرخين الاقتصاديين أن السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تبناها هتلر كانت نوعاً من أنواع التحديث يُرادُ به السعي وراء أهداف ضد الحداثة.

وأكدت مجموعة أخرى أن هتلر قد تعمد انتهاج سياسة تسعى وراء التحديث الثوري للمجتمع الألماني.

هتلر وأسبرطة(19):

اعتبر هتلر أن أسبرطة هي أولى الدول التي طبقت مبادئ الاشتراكية القومية.. وامتدح السياسة التي انتهجتها مبكراً من أجل تحسين النسل.. والطريقة التي عاملت بها النسل المشوه من الأطفال.. لذا كان يحلم بتطبيق النموذج الأسبرطي في بناء ألمانيا الحديثة

معتقدات هتلر الدينية:

نشأ هتلر بين أبوين ينتميان للمذهب الروماني الكاثوليكي.. ولكنه بعد أن ترك منزل والديه لم يثبت أنه حضر أي قُداس.. أو التزم بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية.

وبالرغم من ذلك.. فعندما انتقل إلى ألمانيا – حيث يتم تمويل الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية عن طريق ضريبة للكنيسة تقوم الدولة بجمعها – لم يقم هتلر مطلقاً أبداً بالتخلي عن الكنيسة.. أو الامتناع عن سداد الضرائب الخاصة بها.

(19) أسبرطة (Sparta) مدينة يونانية تأسست حوالي عام 900 قبل الميلاد.. عبر تجمع أربع قرى هي: لمناي.. ميسوا.. كينوسورا.. بيتاني. واشتهرت بشعبها العسكري الذي ينشأ فتيانه على القتال ولا شيء غير القتال.. ووفقًا للأساطير اليونانية.. فمؤسس أسبرطة هو لاكديمون.. ابن (الإله زوس/ زيوس) والإلهة تاجيت.. وقد سماها على اسم زوجته ابنة يوروتاس.. توجهت أسبرطة نحو النظام العسكري بعد أن اضطرت إلى خوض حروب طويلة مع جيرانها.. وعلى رأسهم أثينا.. التي خاضت معها حربًا طاحنة استمرت لربع قرن عرفت بالحروب البيلوبونية .

كذلك.. كان هتلر يمتدح علانيةً التراث المسيحي.. والحضارة المسيحية الألمانية.. وأعرب عن اعتقاده أن المسيح كان ينتمي للجنس الآري لأنه كان يحارب اليهود.

وفي خُطبه وتصريحاته.. تحدث هتلر عن نظرته للمسيحية باعتبارها دافعاً محورياً لمعاداته للسامية.. قائلاً:

«أنا كمسيحي لا أجد نفسي ملزماً بالسماح لغيري بخداعي.. ولكنني أجد نفسي ملزماً بأن أحارب من أجل الحقيقة والعدالة».

أما تصريحاته الخاصة التي نقلها عنه أصدقاؤه المقربون فيشوبها الكثير من اللغط.. فهي تظهر هتلر كرجل متدين على الرغم من انتقاده للمسيحية التقليدية.

وبشكل يعيد إلى الأذهان جدال شترايشر حول فكرة أن المؤسسة الكاثوليكية كانت تناصر اليهود وتتحالف معهم.

وفي مجال العلاقات السياسية مع الكنائس في ألمانيا.. كان هتلر بكل سهولة ينتهج استراتيجية تناسب الأهداف السياسية الآنية التي كان يسعى لتحقيقها.

ووفقاً لآراء البعض.. كان لهتلر خطة عامة حتى قبل أن يصل إلى كرسي رئاسة الحزب النازي..ألا وهي تدمير المسيحية في الرايخ.

وقد صرح رئيس المنظمة شبه العسكرية «شباب هتلر» قائلاً:

«كان تدمير المسيحية هدفاً ضمنياً تسعى الحركة الاشتراكية الوطنية لتحقيقه منذ بدايتها.. ولكن كانت الاعتبارات المتصلة بالوسيلة الممكنة لهذا الهدف هي ما جعلت من المستحيل تحقيقه».

علاوةً على ذلك.. قام هتلر لبعض الوقت بالعمل على حث الشعب الألماني لاعتناق أى مذهب من مذاهب المسيحية التي أُطلِقَّ عليه اسم «المسيحية الإيجابية».. وهو معتقد يقوم على تخليص المسيحية الأرثوذكسية مما يعتريها من تناقضات.. ويتميز بإضافة بعض الملامح العنصرية إليها.

وبالرغم من ذلك.. فبحلول عام 1940 كان معلوماً للرأي العام أن هتلر قد تخلى عن فكرة حث الألمان على الإيمان بفكرة إمكانية التوفيق بين الأفكار المتعارضة التي تدعو إليها المسيحية الإيجابية.. وكان يرى أن الإرهاب الديني هو - باختصار - ما تدعو إليه التعاليم اليهودية.. تلك التعاليم التي تعمل المسيحية على الترويج لها والتي من شأنها أن تزرع القلق والارتباك في عقول البشر.

وبشكل خاص كان هتلر يفضل بعض جوانب المذهب البروتستانتي[20] إذا كانت هذه الجوانب ستمكنه من تحقيق أهدافه.

وفي الوقت نفسه.. قام هتلر بمحاكاة بعضاً من معالم الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في نظام مؤسستها القائم على التسلسل الهرمي وعلى وجود طقوس معينة ولغة خاصة يتم استخدامهما فيها.

شديد الإعجاب بالإسلام:

وأبدى هتلر إعجابه بالتقاليد العسكرية في تاريخ المسلمين.. وأصدر أوامره إلى هيلمر بإنشاء فرقة عسكرية من المسلمين فقط في وحدات النخبة النازية.. وكان ذلك لخدمة أهدافه السياسية الخاصة.. ووفقاً لما ذكره أحد المقربين من هتلر.. فإنه قد صرح له بشكل خاص قائلاً:

«دين محمد الإسلامي من أكثر الأديان التي كانت ستلاءم الأهداف التي نسعى لتحقيقها..أكثر من المسيحية نفسها.. فلماذا يتوجب علينا أن نعتنق المسيحية بكل الخنوع والهوان الذين تتصف بهما» .

(20) المذهب البروتستانتي هو مذهب ديني مسيحي تم تأسيسه على يد مارتن لوثر المصلح الديني المسيحي الشهير.. ولد في إيسليبن في شمالي ألمانيا يوم 10نوفمبر1483.. وتوفي في نفس البلدة في 18 فبراير 1546 تلخص اصلاحات لوثر في الكنيسه الكاثوليكية وإنشائه الكنيسة البروتستانتية على أساس إلغاء غفران القسيس للذنوب وحرق صكوك الغفران وبالتالي إلغاء تكسب الكنيسة من الشعب و المطالبة بزواج الكهنة والقسس حتى تتوقف الدعارة في الأديرة والكنائس وقام بالزواج من إحدى الراهبات .. إضافة إلى إلغاء القداس الإلهي وغفران القسيس لذنوب الميت حيث لايغفر الذنوب إلا الله.. وتحويل القسيس للخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه باعتبارها عملية نصب وخزعبلات.

وكـان هتلـر في ذلـك معجبـاً بجانـب الصـمود والشـجاعة في ملاقـاة العـدو الـذي كـان يتصـف بـه المسلمون الأوائل.. ولم يلتفت إلى أن هذا الجانب في المسلمين إنما كان دفاعاً عن الحق ولم يقصد بـه يوماً الهجوم على الغير أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

وصرح هتلر في إحدى المرات قائلاً :

«لا نريـد إلهـاً آخـر غـير ألمانيـا نفسـها.. ومـن الضرـوري أن نـتحلى بـإيمان وأمـل وحـب يتصـفون بالتعصب لألمانيا ولصالح ألمانيا».

نباتي:

وفي الثلاثينات من القرن السابق.. كان هتلر يلتزم بنظـام غـذائي نبـاتي بـالرغم مـن تناولـه اللحـوم أحياناً.. وهناك بعض الأخبار التي تم تناقلها عنه وهو يقوم بإثارة اشمئزاز ضـيوفه.. ويعطـي لهـم وصفاً تفصيلياً عن طريقة ذبح الحيوانات في محاولة منه لجعلهم يعزفون عن تناول اللحوم.

مُوَسوِس

ويعتبر خوف هتلر من الإصابة بمرض السرطان ـ بعد أن أودى بحياة والدتـه ـ هـو أهـم الأسـباب التي كان يقول أنها سبب عزوفه عن أكل اللحوم.. حيث كـان الشـائع وقتهـا أن أكـل اللحـوم هـو السبب الرئيسي للإصابة بهذا المرض اللعين.. في حين أن كثـيرًا مـن المـؤرخين يؤكـدون أن السـبب وراء ذلك يرجع حبه العميق والمتأصل للحيوانات.

وقد صُنعت له خصيصاً صوبة زجاجية بالقرب من «بيرغوف » مقر إقامته وذلك لإمداده بالفواكه والخضراوات الطازجة طوال فترة الحرب[21].

(21) بحلول عام 2005 كانت دعائم هذه الصوبة هي كل ما تبقى منها من بين أطلال المنطقة الخاصة بالقادة النازيين.

غير مدخن:

لم يكن هتلر مدخناً.. وكان يشجع على الترويج لحملات مناهضة للتدخين في كل أنحاء ألمانيا.. ويقال أن هتلر وعد بمنح أي فرد من المقربين له ساعة ذهبية إذا تمكن من الإقلاع عن التدخين.

وقام بالفعل بمنح البعض ساعات ذهبية عندما تمكنوا من ذلك.. وتؤكد روايات العديد من الشهود إنه بعد التأكد من صحة خبر انتحاره.. قام العديد من الضباط والمعاونين وأفراد السكرتارية في مقر القيادة بإشعال السجائر وتدخينها.

إشاعات مرضية:

طالما كانت الحالة الصحية لهتلر مثاراً للجدل.. فقد قيل مرات عديدة أنه كان يعاني من أعراض القولون العصبي.. ومن آفات جلدية.. ومن عدم انتظام في ضربات القلب.. ومن مرض الشلل الرعاش.. ومن الزهري.

كما توجد أدلة قوية على إدمانه تعاطي عقار الميتا فيتامين المخدر.. وهناك فيلم تسجيلي يظهر يده اليسرى وهي ترتعش.. وهو ما يمكن أن يكون إشارة لإصابته بالشلل الرعاش.

وهناك فيلم آخر - تمت إضافة الكلمات له باستخدام تكنولوجيا قراءة الشفاه - يظهر هتلر وهو يشكو من ارتعاش ذراعه.

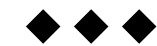
وباستثناء هاتين الحالتين اللتين تتحدثان عن حالته الصحية.. لا توجد الكثير من الأدلة الأخرى تتحدث عن حالته الصحية .

راهب سياسي:

قدم هتلر نفسه للجماهير على أنه رجل بلا حياة عائلية.. وعلى أنه قد كرس حياته تماماً لمهمته السياسية.

انتحار هتلر.. وإيفا براون:

وأثناء الأيام الأخيرة من الحرب في عام 1945 وأثناء سقوط برلين تزوج هتلر من عشيقته إيفا براون بعد قصة حب طويلة.. وبعد أقل من يومين وبالتحديد في الثلاثين من شهر إبريل عام 1945 .. انتحر العشيقان في قبو من أقبية برلين التى كانت قد غرقت تماماً في بحر من الخراب والدمار.







الفصل الأول

هتلر ...

المولد والنشأة !!

وُلِدَ أدولف ألويس هتلر في العشرين من إبريل عام1889 وكما هو ثابت في المصادر التاريخية التي ذكرت أيضًا أن والدته قد وضعته في أحد فنادق النمسا [22] والتي كانت تسمى وقتها (الإمبراطورية النمساوية المجرية) [23].

هتلر هو الابن الرابع بين ستة من الإخوة.. ومن بين ستة أبناء كانوا ثمار زواج والديه لم يصل إلى مرحلة المراهقة سوى أدولف وشقيقته باولا التي كانت أصغر منه بسبع سنوات.. وأنجب خلالهما من زوجته الثانية ابن هو الأخ غير الشقيق لأدولف أسماه على اسمه (ألويس هتلر) وابنة اسماها (أنجيلا) [24].

(22) الفندق يسمى (Gasthof zum Pommer)

(23)ولدت الإمبراطورية النمساوية المجرية مع تسوية عام 1867 بين نبلاء المجر والملكية الهابسبورجية في محاولة للحفاظ على الإمبراطورية النمساوية القديمة التي ولدت في عام 1804 وتمتعت داخلها مملكة المجر بسياسة ذاتية الحكم على عدة مستويات (خصوصا في العلاقات الدبلوماسية والدفاع).. في حين كان آل هابسبورج أباطرة للنمسا وملوكاً للمجر.. كان الاسم الكامل للدولة «الممالك والأراضي ممثلة في المجلس الإمبراطوري وأراضي تاج القديس ستيفانوس».. بلغت مساحة الإمبراطورية 680.000 كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها 52 مليون نسمة.. وعاصمتها فيينا.. كان للنمسا والمجر دستورين والبرلمانين ووزارات منفصلة (كانت بودابست عاصمة المجر) تشارك الملك والوزارات في السياسة الخارجية والاقتصادية والعسكرية.. ووُجد إلى جانب الجيش الإمبراطوري الملكي المشترك جيش وطني نمساوى.. وتم تقاسم النفقات المشتركة والتجارية.. بقاءها إمبراطورية متعددة الأعراق في عصر صحوة قومية قوي.. جعلها تعاني باستمرار من النزاعات بين المجموعات العرقية الأحد عشر التي تتألف منها.. ورغم الخصومات الإثنية خلال سنوات عمرها الخمسين.. شهدت الإمبراطورية نمواً اقتصادياً سريعاً وتحديثاً ملحوظاً.. إضافة إلى العديد من الإصلاحات الليبرالية.

(24) في سبتمبر من عام 1931.. تم العثور على جثة ابنة شقيقة هتلر جيلي راوبال في غرفة نومها في شقته بميونيخ.. وكشفت التحريات عن موتها منتحرة.. وكانت أخته غير الشقيقة أنجيلا وابنتها جيلي تعيشان معه في ميونيخ منذ عام 1929 وهناك اعتقاد شائع - سنتحدث عنه بالتفصيل في حينه - يؤكد أن ابنة الأخت على علاقة غير شرعية بخالها هتلر.. ويقال أنها قتلت نفسها بمسدسه.

طفولة هتلر بين : أب غامض.. وقاسي ..

الأب يدعى ألويس هتلر[25] وكان يعمل موظفاً في الجمارك.. تزوج مرتين قبل زواجه من كلارا هتلر[26] والدة أدولف.. والتى كانت الزوجة الثالثة .. وسبق أن قلنا أنه نظراً لأن الهوية الحقيقة لوالد ألويس شكلت سراً غامضاً في تاريخ الرايخ الثالث فقد كان لقيطاً غير معروف الأب والأم.. كان من المستحيل تحديد العلاقة الحقيقية التي كانت تربط بين ألويس وكلارا.. وهو الأمر الذي استدعى حصولها على إعفاء بابوي لإتمام زواجهما.

وبين الاثنين عاش هتلر طفولة مضطربة حيث كان أبوه عنيفاً في معاملته له ولأمه.. فماذا عن ذلك الأب.. وتلك الأم.. وكيف عاش هتلر طفولته بينهما؟

يؤكد هتلر في كتابه (كفاحي Mein Kampf) [27] أنه في صباه كان يتعرض عادةً للضرب من قبل أبيه.. ويقول :

«عَقَدتْ العزم على ألا أبكي عندما ينهال عليَّ والدي بالسوط.. وبعد ذلك بأيام.. سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الاختبار.. أما والدتي.. فقد وقفت في رعب تحتمي وراء الباب.. أما أنا فأخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال علي مؤخرتي.. وأنا صامت لا أبكي.. ولا أتحرك» .

وأم مغلوبة على أمرها :

يعتقد المؤرخون أن تاريخ العنف العائلي الذي مارسه والد هتلر ضد والدته تمت الإشارة إليه بطريق غير مباشر في كتابه كفاحي والذي وصف فيه هتلر وصفاً تفصيلياً واقعة عنف عائلي ارتكبها أحد الأزواج ضد زوجته.. وتفسر هذه الواقعة بالإضافة إلى وقائع الضرب التي كان يقوم بها والده ضده سبب الارتباط العاطفي العميق بين هتلر ووالدته في الوقت الذي كان يشعر فيه بالاستياء الشديد من والده.

(25) عاش الأب في الفترة بين عامي (1837 – 1903)

(26) عاشت الأم في الفترة بين عامي (1860 – 1907).

(27) كتاب كفاحي لهتلر هو كتاب جمع بين عناصر السيرة الذاتية والشرح التفصيلي لنظريات هتلر النازية.. كتبه هتلر أثناء فترة سجنه إثر محاولة الانقلاب الفاشلة.

طفل يحلم بأن يصبح رساماً:

كان هتلر الطفل طالباً متفوقاً في مدرسته الابتدائية.. ولكنه بالرغم من ذلك رسب في الصف السادس.. وهي سنته الأولى في المدرسة الثانوية عندما كان يعيش في لينز وكان عليه أن يعيد هذه السنة الدراسية.. وقال معلموه عنه : إنه «لا يرغب في العمل».

وقد صرح هتلر في وقت لاحق أن تعثره التعليمي كان نابعاً من تمرده على أبيه الذي أراد له أن يحذو حذوه.. ويكون موظفاً بالجمارك.. على الرغم من رغبة هتلر في أن يكون رساماً.. ويدعم هذا التفسير الذي قدمه هتلر ذلك الوصف الذي وصف به نفسه بعد ذلك بأنه فنان أساء من حوله فهمه.

وبعد وفاة الأب ألويس في الثالث من شهر يناير في عام 1903 لم يتحسن مستوى هتلر الدراسي.. وفي سن السادسة عشرة.. ترك هتلر المدرسة الثانوية دون الحصول على شهادته.

وانتقل في نفس العام 1903 إلى مدينة ميونخ لتفادي التجنيد الإلزامي لكن تم إلقاء القبض عليه من قِبل الجيش النمساوي وبعد اِجراء الفحوصات الطبية لاختبار لياقته البدنية للخدمة العسكرية تبين أنه غير لائق صحيًا .

وبدءاً من هذا التوقيت عاش هتلر حياة بوهيمية(28) في فيينا على منحة حكومية لإعانة الأيتام ودعم مالي كانت والدته تقدمه له..

عاد أدولف هتلر في أكتوبر 1907 م ليدخل امتحان القبول.. وهو أولى الخطوات العملية لتحقيق أحلامه في فن الرسم وكان في الثامنة عشرة.. مفعمًا بالآمال.. لكنها سحقت وتطايرت هباء.. وتروي القصة التالية نتائج امتحان القبول كما هي مدونة في سجلات المدرسة آنذاك :

(28) البوهيمي : هو الإنسان الذي يفعل ما يحلو له دون النظر لعواقب ما يفعل.

« التالية أسمائهم شاركوا في الامتحان.. وكانت نتائجهم غير مرضية أو لم يقبلوا..

«أدولف هتلر– براناو آم إن– مولود في 20 إبريل عام 1889 – نمساوي– كاثوليكي– الأب موظف– تحصيله الدراسي: أربعة صفوف في المتوسط. الدرجات قليلة.. اختبار الرسم: غير مرضٍ».

وعاود هتلر الكرة وكانت رسومه تميل إلى الرسم المعماري الحد الذي لم يؤهله للمشاركة في الامتحانات هذه المرة.. فكانت ضربة قاصمة لطموحه الفني كما ذكر فيما بعد لأنه كان مقتنعاً تماماً بقدراته كما نوه عن ذلك في كتابه كفاحي.. ولذلك طلب توضيحاً للأمر من مسجل الكلية الذى قال له ما يلي :

«أكد لي هذا السيد أن الرسوم التي عرضها برهنت بما لا يقبل الشك إني لا أصلح لمزاولة فن الرسم.. وأن كفاءتي كما أوضحت له الرسوم تكمن في الهندسة المعمارية.. وقال لي لا شأن لك في أكاديمية الرسم وميدانك هو مدرسة الهندسة المعمارية».

واضطر هتلر إلى الرضوخ لحكم القدر.. لكن ما لبث أن أدرك وهو حزين أن فشله في نيل شهادة التخرج الثانوية سيحول بينه وبين دخوله مدرسة الهندسة المعمارية.

ويقول عن تلك الفترة من حياته:

« كان الهدف من رحلتي هو دراسة اللوحات الموجودة في صالة العرض في المتحف الذي كان يطلق عليه Court Museum ولكنني نادراً ما كنت ألتفت إلى أي شيء آخر سوى المتحف نفسه.. فمنذ الصباح وحتى وقت متأخر من الليل.. كنت أتنقل بين المعروضات التي تجذب انتباهي.. وكانت المباني دائماً هي التي تستولي على كامل انتباهي ».

وبعد نصيحة رئيس المدرسة.. اقتنعت أنا أيضاً أن هذا هو الطريق الذي يجب أن أسلكه.. ولكن كان ينقصنى الإعداد الأكاديمي المناسب للالتحاق بمدرسة العمارة.

وفي غضون أيام قلائل.. أدركت في أعماقي إنني يجب أن أصبح يوماً مهندساً معمارياً.. والحقيقة هي أن سلوكي في هذا الطريق كان مسألة شاقة للغاية حيث إن إهمالي لإتمام دراستي في المدرسة الثانوية قد ألحق الضرر بي لأنه كان ضرورياً إلى حد بعيد.. وكان لا يمكن أن التحق بالمدرسة المعمارية التابعة للأكاديمية دون أن أكون قد التحقت قبلها بمدرسة البناء الخاصة بالدراسة الفنية والتي كان الالتحاق بها يستلزم الحصول على شهادة المدرسة الثانوية.. ولم أكن قد قمت بأية خطوة من هذه الخطوات.. فبدا لي أن تحقيق حلمي في دنيا الفن مستحيلاً بالفعل.

مع أكثر الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين:

ولمدة عام واحد.. كان هتلر في نفس الصف الدراسي مع لودفيج ويتجنشتاين[29] الذي يعتبر واحداً من أكثر الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين.. وبالرغم من أن الولدين كانا في العمر نفسه تقريباً.. فقد كان ويتجنشتاين يسبق هتلر بصفين دراسيين.. ولم يتم التأكد من تعارف هتلر وويتجنشتاين مع بعضهما في ذلك الوقت.. أو حتى تذكر أحدهما للآخر.

(29) أحد أهم مؤسسي علم الاستدلال الرياضي.

نقطة تحول:

وفي كتابه كفاحي أرجع هتلر تحوله إلى الإيمان بالقومية الألمانية إلى سنوات المراهقة الأولى التي قرأ فيها كتاب من كتب والده عن الحرب الفرنسية البروسية[30] والذي جعله يتساءل حول الأسباب التي جعلت والده وغيره من الألمان ذوي الأصول النمساوية يفشلون في الدفاع عن ألمانيا أثناء الحرب.

لكن هناك رواية أخرى تقول : أنه في سبتمبر 1919 كان هناك اجتماع في ميونيخ لحزب العمال الذى قام بتأسيسه في الخامس من 5 يناير 1919 كلٌ من آنتون دريكسلر[31] والصحفي كارل هارير.. وخلال الاجتماع قام أحد الحضور واقترح ضرورة انفصال بافاريا عن بروسيا والنمسا كأمة مستقلة.. وكان أدولف هتلر من بين الجمهور الذي حضر هذا الاجتماع.. وطبقا لما أورده هتلر في كتابه كفاحي فإنه هب قائماً لكي يعترض على الاقتراح الذي نادى به العضو.. فاقترب منه دريكسلر ووضع كتيباً في يده وكان عنوانه « يقظتي السياسية » وكما ذكر هتلر في كتابه.. فإن هذا الكتيب قد كان له أثر عميق في قراراته.. خاصةً أنه تلقى بعده بعدة أيام بطاقة بريدية تخبره بأنه قد تم قبوله في حزب العمل الألماني.

(30) الحرب الفرنسية الألمانية أو الحرب الفرنسية البروسية حرب قصيرة الأمد نشبت بين القوة المسيطرة في أوروبا آنذاك وهي فرنسا وبين القوة الصاعدة بقوة حينها والمنتشية بهزيمة النمسا في حرب الأسابيع السبعة.. فظهور بروسيا كقوة ألمانية قيادية تسعى لتوحيد البلدان الألمانية كان سببًا لتخوف وتوجس الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث كما كان لرغبة القائد بسمارك رئيس وزراء مملكة بروسيا في توحيد الأمة الألمانية دور كبير في اندلاع هذه الحرب الأوروبية لإدراكه سهولة إمكانية خلق وحدة ألمانية حينما يتعلق الأمر بمجابهة النفوذ الفرنسي... وبعد ضمان بسمارك حياد الأطراف الأخرى ذات القوة العسكرية مثل الإمبراطورية الروسية والمملكة البريطانية وإيطاليا.. باشر تحضيرات حرب مع الفرنسيين اتسمت بالإتقان من الجانب البروسي وغياب الكفاءة من الجانب الفرنسي.

(31) آنتون دريكسلر(13 يونيو 1884–24 فبراير 1942) هو قائد ألماني نازي في فترة العشرينيات.. ولد في ميونخ وكان مصلح آلات قبل أن يصبح صانع أقفال في السكك الحديدية في برلين عام 1902التحق بحزب فاذرلاند بارتي يسمى(حزب وطن الاجداد) خلال الحرب العالمية الأولى.. وقد كان شاعر وعضو في دعاة الفولكش وأسس مع الصحفي كارل هارر حزب العمال الألماني في ميونخ مع كوتفريد فيدر وديتريج إيكارد في 1919 .

سنوات الصبا المبكرة بين فيينا وميونيخ:

عندما توفيَّ أبوه في يناير 1903 غدا أدولف بلا معيل وقرر الرحيل إلى فيينا أملاً في أن يصبح رساماً.. فعكف على رسم المناظر الطبيعية والبيوت مقابل أجر يسير وكانت الحكومة تصرف له راتبًا كونه صغيرًا في السن وبلا معيل.. وبعد أن تم رفضه من قبل مدرسة فيينا للفنون الجميلة مرتين توقفت إعانته المالية من الحكومة .

وفاة والدته:

وفي 21 ديسمبر1907 توفيت والدة هتلر إثر إصابتها بسرطان الثدي عن عمر يناهز السبعة وأربعين عاماً.. وبأمر من أحد المحاكم في لينز.. أُعِطيَّ هتلر نصيبه في الإعانة التي تمنحها الحكومة للأيتام لشقيقته باولا.

هتلر يرث.. ويعيش شريداً..

ثم ورث هتلر أموالاً عن واحدة من عماته.. وحاول أن يشق طريقه بجهد كرسام في فيينا حيث كان ينسخ المناظر الطبيعية الموجودة على البطاقات البريدية ويبيع لوحاته إلى التجار والسائحين.. وبعد أن رفضته أكاديمية الفنون للمرة الثالثة.. كان ماله كله قد نفذ.. وفي عام 1909عاش هتلر في مأوى للمشردين.. ومع حلول عام 1910 كان هتلر قد استقر في منزل يسكن فيه الفقراء من العمال.





الفصل الثاني

هتلر والحرب العالمية الأولى!!

في مايو من عام 1913 تسلم هتلر الجزء الأخير من ممتلكات والده لينتقل بعدها للعيش في ميونيخ.. وما زال اهتمامه بفن المعمار يلحُ عليه.. وساعده انتقاله إلى ميونيخ فى التهرب من أداء الخدمة العسكرية في النمسا لبعض الوقت.. بالرغم كما قلنا من أن الشرطة في ميونيخ (والتي كانت تعمل بالتعاون مع السلطات النمساوية) تمكنت في نهاية الأمر من إلقاء القبض عليه وترحيله إلى النمسا.. وبعد تقدمه بالتماس يدل على ندمه على ما اقترفه.. تقرر أنه غير لائق لأداء الخدمة العسكرية تم السماح له بالعودة إلى ميونيخ.

ومع ذلك.. وعندما دخلت ألمانيا الحرب العالمية الأولى في أغسطس من عام 1914 تقدم هتلر بالتماس لملك بافاريا لودفيج الثالث للسماح له بالخدمة في فوج بافاري.. وبالفعل وافق الملك على التماسه.. وتم تجنيد أدولف هتلر في الجيش البافاري.

رسول بين الجيوش:

خدم هتلر في فرنسا وبلجيكا مع الفوج البافاري الاحتياطي السادس عشر -والذي عرف باسم فوج ليست [32] نسبةً إلى قائده الأول.. وانتهت الحرب بتقلده رتبة جيفريتر[33].

وخلال هذه الفترة عمل هتلر كرسول بين الجيوش.. وهي وظيفة أقرب ما تكون لمهنة ساعي البريد.. وكان كل زملاءه من الجند يتهربون من هذه المهنة.. ويفضّلون البقاء في خنادقهم بدلاً من التعرض لنيران العدو عن نقل المراسلات العسكرية.. لذا كانت هذه المهنة واحدة من أخطر الوظائف على الجبهة الغربية.. ومحفوفة عادةً بالمخاطر.. مما جعله في أغلب الأحيان معرضاً للإصابة بنيران العدو.. ولكنها في الوقت نفسه منحته سعةً في الوقت سمحت له بمتابعة انتاج أعماله الفنية.. وقام هتلر برسم الصور الكاريكاتورية والرسومات التعليمية لإحدى الصحف التابعة للجيش.

(32) بالألمانية: Regiment List.

(33) هي رتبة تعادل وكيل عريف في الجيش البريطاني وجندي من الدرجة الأولى في الجيوش الأمريكية.

معارك شارك فيها هتلر:

كما اشترك في عدد من المعارك الرئيسية على الجبهة الغربية.. وتضمنت هذه المعارك:

- معركة يبريس الأولى والتي وقعت في جنوب بلجيكا..
- معركة السوم التي وقعت بالقرب من النهر الفرنسي الذي يحمل نفس الاسم.
- معركة آراس التي وقعت في شمالي فرنسا.
- معركة باسكينداايلي التي وقعت في شمال غرب بلجيكا.

ودارت معركة يبريس في أكتوبر من عام 1914 وكانت معروفة في ألمانيا باسم مذبحة الأبرياء شهدت مقتل حوالي أربعين ألف من الجنود خلال عشرين يوماً.. وهو عدد يمثل نسبة كبيرة قُدِرت بين ثلث ونصف عدد الجنود المشاركين في هذه المعركة.. وذلك من كتائب المشاة التسعة التي اشتركت فيها.

أما الكتيبة التي كان هتلر فرداً من أفرادها.. فقد تقلص عدد الجنود فيها من مائتين وخمسين جندي.. إلى اثنين وأربعين جندياً بحلول شهر ديسمبر.. وكتب كاتب السير الذاتية لهتلر جون كيجان يقول :

إن هذه التجربة قد جعلت هتلر يتجه إلى الانعزال والانطواء على نفسه خلال السنوات الباقية للحرب.

وسامان لهتلر :

أشاد به وبمواقفه وشجاعته في الحرب عدد من قادته.. ورُفعوا تقارير بذلك لقادتهم.. فتم منح هتلر وسامين تقديراً لشجاعته في الحرب:

- وسام الصليب الحديدي من الدرجة الثانية في عام 1914.
- وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى في عام 1918.

وهو تكريم نادراً ما يحصل عليه جندي من رتبة صغيرة مثل الجيفريتر التى كان يحملها آنذاك هتلر.

ومع ذلك لم تتم ترقيته إلى الرتبة الأعلى (أونتيروفيزير) [34] نظراً لكونه يفتقر إلى المهارات القيادية من وجهة نظر قادة الفوج الذي كان ينتمي إليه.

وهناك من يروج لأنه خضع للتحليل النفسي- فثبت كونه مضطرب عقلياً وغير مؤهلاً لقيادة زملاءه من الجنود فلم تتم ترقيته.

ويقول بعض المؤرخين الآخرين: أن السبب وراء عدم ترقيته يرجع إلى أنه لم يكن مواطناً ألمانياً.

جِراح الحرب:

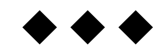
أثناء مشاركته في معركة السوم عام 1916 أصيب هتلر بجرح إما في منطقة أصل الفخذ.. أو في فخذه الأيسر.. ولكنه عاد إلى الجبهة مرةً أخرى في مارس من عام 1917 وتسلم شارة الجرحى في وقت لاحق من نفس العام.

وفي الخامس عشر من أكتوبر عام 1918 دخل هتلر إحدى المستشفيات الميدانية على إثر إصابته بعمى مؤقت عقب تعرضه لهجوم بغاز الخردل[35].

(34) وهي رتبة تعادل العريف في الجيش البريطاني.

(35) يشير عالم النفس الإنجليزي ديفيد لويس إلى أن إصابة هتلر بالعمى قد يكون لها سبب نفسي- آخر غير غاز الخردل فيقول أنها ربما كانت نتيجةً اضطراب تحوّلي (وهو المرض المعروف باسم هيستريا)..

وبنهايـة الحـرب العالميـة الأولى.. اسـتمر هتلـر في الجيش حيـث اقتصرـ عملـه عـلى قمـع الثـورات الاشـتراكية في ألمانيـا.. وانضـم الرجـل إلى دورات معـدّة مـن «إدارة التعلـيم والدعايـة السياسـية» هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمـة ألمانيـا في الحـرب بالإضـافة إلى سـبب انـدلاعها. وتمخّضـت تلـك الاجتماعات عن إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين والسّاسة.. بشكل عام.



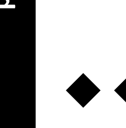


Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الثالث

هتلر ..

والنازية !!



الهزيمة في الحرب العالمية الأولى.. معاهدة فيرساي.. أزمة الكساد الاقتصادي.. اتهام مراكز القوى المتمثلة في الديموقراطيين الاشتراكيين وممارسات حكومة فيمر.. كل هذه الأحداث أدت إلى التفكير في ضرورة وجود حزب يعمل على اتحاد العمال.. وإنقاذ الاقتصاد الألماني من كبوته.. وعودة الانتماء القومي.. والوطني للشعب الألماني بعدما أحبطته هزيمة الحرب العالمية الأولى.. وعملت على تشكيل النواة الأولى للفكر العمالي الاشتراكي الألماني.

وبدءًا من عام 1924 بدأ الحزب في اكتساب جماهيرية عريضة وتكونت خلايا حزبية نازية في الجنوب ثم توحدت مع المركز في ميونخ.. وكان هتلر يحلم بإقامة ألمانيا عظمى قائمة على أساس سيادة الجنس الآري وتفوقه.

كانت رؤيا الحزب وأسسه المبنية على التنظيم والعدالة هما الذريعة الأولى لاحتلاله صدارة المشهد السياسي في ألمانيا في هذا التوقيت.

جئت للحياة من أجل «إنقاذ ألمانيا»:

وعَقَبَ هتلر على هذه الواقعة فقال إنه أثناء هذه التجربة أصبح مقتنعاً أن سبب وجوده في الحياة هو «إنقاذ ألمانيا» وأن الحرب هي «أعظم الخبرات التي يمكن أن يمر بها المرء في حياته».

وعندها كان إعجاب هتلر بألمانيا قد سيطر عليه.. وتمكن منه تماماً.. وأثناء الحرب أصبح وطنياً متحمساً أشد الحماس للدفاع عن ألمانيا بالرغم من أنه لم يصبح مواطناً ألمانياً بشكل قانوني رسمي حتى عام 1932

أسطورة طعنة الخنجر :

قلنا من قبل أن هتلر قد صُدِمَ من اتفاقية الاستسلام التي وقعتها ألمانيا في نوفمبر من عام 1918 باسم « معاهدة فرساي »على الرغم من سيطرة الجيش الألماني حتى ذلك الوقت على أراضِ للعدو.

ومثله مثل العديد من المناصرين للقومية الألمانية.. كان هتلر يؤمن بمقولة تسمى «طعنة الخنجر» [36] التي تصف ما حدث للجيش الألماني في الحرب الأولى بأنه ليس هزيمة في ساحة معركة.. بقدر ماهو « طعنة في الظهر» من قادة مدنيين.. وماركسيين على الجبهة الداخلية.. وقد عرف هؤلاء السياسيين فيما بعد باسم مجرمي نوفمبر.

وحملت معاهدة فرساي ألمانيا مسؤولية كل فظائع الحرب.. وفرضت عليها ما يلي باختصار:

- فرض عقوبات اقتصادية مدمرة..
- إجبارها على فرض إصلاحات داخلية خاصة[37] ..
- حرمانها من مناطق عديدة كانت تابعة لها..
- تجريد كامل للقوات المسلحة الألمانية من صفتها العسكرية..
- لم يسمح لها عسكرياً إلا بالاحتفاظ بست بوارج فقط..
- منعها من الاحتفاظ بغواصات.. أو قوات جوية.. أو مركبات مدرعة.. أو جيش يفوق عدده مائة ألفاً من الجنود إلا تحت ظروف التجنيد الإجباري التي يمكن أن تفرضها الحرب..

(36) بالألمانية: Dolchstoßlegende.

(37) فيما بعد تم تعديل مقدار هذه الإصلاحات بشكل متكرر وفقاً للخطط المعروفة باسم خطة داوس خطة يونج (و Hoover Moratorium)....

- تجريد منطقة رينهارد من الصفة العسكرية التي كانت تتمتع بها..

كما أعادت المعاهدة الوجود لدولة بولندا من جديد.. وخسرت ألمانيا جزءاً ذات أهمية اقتصادية من أراضيها في أوروبا إلى جانب مستعمراتها.

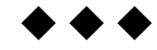
واعترافاً منها بتحمل المسؤولية الكاملة عن الحرب.. وافقت ألمانيا على دفع مبلغاً ضخماً يقدر إجمالياً بحوالي مائة واثنين وثلاثين مليون مارك ألماني من أجل إصلاحات الخسائر التي خلفتها الحرب.. وهو الأمر الذي اعتبره الألمان – حتى المعتدلين منهم – نوعاً من الإهانة.. خاصةً البند رقم 231 منها وبالتحديد الفقرة التي تتحدث عن مسؤولية ألمانيا عما حدث في الحرب.

ازدياد شعبية هتلر

إذن كان لمعاهدة فرساي دوراً مهماً في الظروف الاجتماعية والسياسية التي صادفها هتلر وأتباعه من النازيين أثناء سعيهم للفوز بالسلطة.. كما كان العامل الرئيسي في ازدياد شعبية هتلر بين الناس هو قدرته على استدعاء روح العزة والوطنية التي عرضتها معاهدة فيرساي للمهانة والتي فرضها الحلفاء الغربيون على الأمبراطورية الألمانية المهزومة.. واستاء معظم الألمان في مرارة من بنود المعاهدة.. ولكن كانت المحاولات السابقة التي قام بها النازيون للحصول على تأييد الشعب الألماني بإلقاء اللوم على «الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم» غير مقبولة بين جمهور الناخبين.. وسرعان ما تعلم الحزب الدرس.. فبدأ دعاية ماهرة تمزج بين معاداة السامية والهجوم على الأخطاء التي قام بها «نظام فايمار» والأحزاب السياسية الموالية له.

مجرمو نوفمبر كبش فداء :

ونظر هتلر وحزبه إلى توقيع «مجرمي نوفمبر» على المعاهدة كسبب يدعوهم إلى بناء ألمانيا من جديد بشكل لا يتكرر معه ما حدث مرةً أخرى.. واستخدم هتلر مجرمي نوفمبر ككبش فداء على الرغم من الخيارات المحدودة للغاية والتي كانت متاحة أمام هؤلاء الساسة في مؤتمر باريس للسلام.



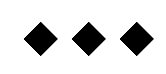


Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الرابع

هتلر والحزب

من جبهة القتال
إلى عالم السياسة



هتلر رجل مخابرات:

فى يوليو 1919 تم تعيين هتلر في الشرطة الألمانية في منصب هو أقرب ما يكون لعمل الجاسوس.. وبالطبع كان عمله يتبع مباشرةً قيادة الاستخبارات الألمانية) التي كانت تتبع قوة الدفاع الوطنية.. من أجل التأثير على الجنود الآخرين واختراق صفوف حزب العمال الألماني (DAP).

وأثناء استكشافه للحزب تأثر هتلر بأفكار مؤسس الحزب آنتون دريكسلر المعادية للسامية والقومية.. والمناهضة للرأسمالية.. والمعارضة لأفكار الماركسية.. وكانت أفكاره تؤيد وجود حكومة قوية ونشيطة.. وهي أفكار مستوحاة من الأفكار الاشتراكية.. ومن الإيمان بضرورة وجود تكافل متبادل بين كل أفراد المجتمع.

كما حازت مهارات هتلر الخطابية على إعجاب دريكسلر فدعاه إلى الانضمام للحزب ليصبح أحد أعضاءه[38] كما أصبح أيضاً العضو السابع في اللجنة التنفيذية التابعة للحزب.. وبعد مرور عدة سنوات.. ادعى هتلر أنه كان العضو السابع من الأعضاء المؤسسين للحزب.. وثبت فيما بعد كذب هذا الادعاء.

هتلر.. وصعود نجمه السياسي:

التقى هتلر مع ديتريش إيكارت وهو واحد من المؤسسين الأوائل للحزب.. والعنصر الفعال في الجمعية السرية المعروفة باسم ThuleSociety وأصبح إيكارت المعلم الخاص بهتلر الذي يعلمه الطريقة التي يجب أن ينتقي بها ملابسه.. وكيف يتحدث إلى الناس.. كما قدمه إلى صفوة المجتمع السياسي آنذاك.

(38) هناك بعض المصادر تقول : أن عدد أفراد الحزب عند التحاق هتلر به كان 7 أفراد فقط.. وهناك من يؤكد أن رقم العضوية الحقيقي لهتلر هو 555 ومعناه العضو الخامس والخمسون في قائمة أعضاء الحزب – وتمت إضافة الرقم 5 ليبدو عدد أعضاء الحزب أكبر).. ولكن فيما بعد تم ذلك تقليل الرقم ليترك انطباعاً بأن هتلر كان واحداً من الأعضاء المؤسسين للحزب.

تغيير اسم الحزب:

وبدأ هتلر يتلقى الدعم والتشجيع من جانب أعضاء الحزب من ذوي المناصب الأعلى.. وبدأ يشارك بشكل كامل في أنشطة الحزب وهو ما زال حتى ذلك الحين على ذمة الجيش.

ثم قام الحزب بتغيير اسمه إلى حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني.

بعدها تم تسريح هتلر من الخدمة العسكرية في مارس1920 .

خطيب ثوري:

وفي بدايات عام 1921بدأ هتلر يتمكن بشكل كامل من إجادة فن الخطابة أمام الحشود الكبيرة.. وفي فبراير تحدث هتلر أمام حشد يضم حوالي ستة آلاف فرد في ميونيخ.. وللدعاية لهذا الاجتماع.. أرسل هتلر شاحنتين محملتين بمؤيدي الحزب ليجوبوا الشوارع وهم يحملون الصليب المعقوف محدثين حالة من الفوضى وهم يلقون بالمنشورات صغيرة الحجم إلى الجماهير في أول تنفيذ للخطة التي قاموا بوضعها.

ذاعت شهرة هتلر خارج الحزب نظراً لشخصيته الثورية العنيفة.. وخُطبِه الجدلية المناهضة لمعاهدة فرساي.. والسياسيين المنافسين له بما في ذلك أنصار الحكم الملكي والمنادين بفكرة القومية وغيرهم من الاشتراكيين غير المؤمنين بسياسة التعاون الاقتصادي والسياسي بين الدول.. واشتهر بوجه خاص بخطاباته المناهضة للماركسيين ولليهود.

واتخذ حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني من ميونيخ مقراً له.. وكانت ميونيخ في ذلك الوقت أرضاً خصبة لمناصري القومية الألمانية.. وكان من بينهم ضباطًا من الجيش قد عقدوا العزم على سحق الماركسية وتقويض دعائم جمهورية فايمار.

وبمرور الوقت.. لَفَتَ هتلر بحركته التي أخذت في النمو أنظار هؤلاء الضباط باعتبارها أداة مناسبة لتحقيق أهدافهم.

حركة تمرد :

وفي بدايات صيف عام 1921 سافر هتلر إلى برلين لزيارة بعض الجماعات التي كانت تنادي بالقومية.. وفي فترة غيابه.. كانت هناك حالة من التمرد بين قيادات حزب العمال الألماني في ميونيخ.

وتولت إدارة الحزب لجنة تنفيذية كان أعضاؤها الأساسيون ينظرون إلى هتلر باعتباره شخصية متغطرسة ومستبدة.

فقام هؤلاء الأعضاء بتشكيل حلف مع مجموعة من الاشتراكيين في مدينة أوكسبرج.. وأسرع هتلر بالعودة إلى ميونيخ وحاول مقاومة الهجمة الشرسة عليه بتقديم استقالته رسمياً من الحزب في 11 يوليو في عام 1921 وقام برفع دعوى سب وتشهير.

هتلر يملي شروطه:

وعندما أدرك هؤلاء الأعضاء أن خسارتهم لهتلر ستعني عملياً نهاية الحزب.. انتهز هتلر الفرصة وأعلن عن إمكانية عودته إلى الحزب بشرط أن يحل محل دريكسلر في رئاسة الحزب متمتعاً بالنفوذ المطلق فيه.

وحاول أعضاء الحزب الحانقين (بما فيهم دريكسلر) الدفاع عن مكانتهم إلا أن في ذلك الوقت.. ظهر كتيب مجهول المصدر يحمل عنوان (أدولف هتلر: هل هو خائن؟) ليهاجم تعطش هتلر للاستيلاء على السلطة.. وينتقد زمرة الرجال الملتفين حوله.. والذين يتميزون بالعنف.. ورداً على نشر هذا الكتيب عنه في صحيفة تصدر في ميونيخ.. أقام هتلر دعوى قضائية ضد الجريدة بسبب التشهير.. وفيما بعد تم تسوية الأمر بين الجانبين.

موافقة بالإجماع:

وتراجعت اللجنة التنفيذية لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني عن موقفها في نهاية الأمر واعترفت بهزيمتها.. وتم التصويت بين أعضاء الحزب بشأن الموافقة على مطالب هتلر.. وحصل هتلر على موافقة خمسمائة وثلاثة وأربعين صوتاً من أصوات الأعضاء في مقابل الرفض من صوت واحد فقط.

وفي الاجتماع التالي لأعضاء الحزب الذي عقد في التاسع والعشرين من يوليو 1921 تم تقديم أدولف هتلر بصفته فوهرر لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني.. وهي المرة الأولى التي تم فيها الإعلان عن هذا اللقب على الملأ.

توهج نجم هتلر

وبدأت الخطب التي كان هتلر يلقيها في النوادي التي كان يجتمع فيها أفراد الشعب الألماني ليهاجم بها اليهود والديمقراطيين الاشتراكيين والليبراليين وأنصار الحكم الملكي الرجعيين والرأسماليين والشيوعيين تؤتي ثمارها المرجوة وتجذب إليه المزيد من المؤيدين.. وكان من مؤيدي هتلر الأوائل: ردولف هس.. والطيار السابق في القوات الجوية هيرمان جورينج وقائد الجيش إيرنست روم الذي أصبح بعد ذلك رئيساً للمنظمة شبه العسكرية النازية المعروفة باسم SA (كتيبة العاصفة) التي تولت حماية الاجتماعات والهجوم على خصومه السياسيين.

هتلر يرتب أوراقه:

كوّن هتلر جماعات مستقلة مشابهة مثل: جبهة العمل الألمانية والتي اتخذت من مدينة نورمبرج مقراً لها.. وكان يوليوس شترايشر رئيساً لها.. وشغل بعد ذلك منصب قائد فرع إقليمي لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني علاوةً على ذلك.. لَفَتَ هتلر أنظار أصحاب المصالح التجارية المحليين.. وتم قبوله في الدوائر التي كانت تتضمن أصحاب النفوذ في مجتمع مدينة ميونيخ.. كما اقترن اسمه باسم القائد العسكري الذي كان معروفًا الصيت في فترة الحرب الجنرال إيريك لودندورف.

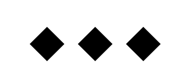


Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الخامس

انقلاب

بيرهول الفاشل..



◆◆◆

في 8 نوفمبر في عام 1923 اقتحم هتلر وكتيبة العاصفة اجتماعاً عاماً في أحد النوادي التي كانت تنتشر في جنوب ألمانيا في مدنها الكبرى في بدايات القرن العشرين والتي كان يقصدها المئات – بل والآلاف من الزوار– للتباحث في الأمور الاجتماعية والسياسية التي تهمهم.. وأعلن هتلر أنه قد شكل حكومة جديدة بمعاونة لودندورف.. وطلب – تحت تهديد السلاح – من المؤسسة العسكرية المحلية أن تدعمه من أجل الإطاحة بحكومة برلين.

وفي اليوم التالي عندما زحف هتلر وأتباعه في مسيرة من هذا النادي إلى وزارة الحرب البافارية للإطاحة بالحكومة البافارية في بداية «مسيرة برلين» نجحت قوات الشرطة في تشتيت شملهم.. وأسفرت هذه المسيرة عن مصرع ستة عشر عضواً من أعضاء حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني.

محاكمة هتلر:

فَرَ هتلر إلى منزل إرنست هانفشتينجل وفكر في الانتحار.. وتم القبض عليه بعد ذلك بوقت قصير بتهمة الخيانة العظمى.. وأصبح ألفريد روزنبرج زعيماً مؤقتاً للحزب.. وأثناء محاكمته.. لم يكن هتلر مقيداً بزمنٍ محدد للكلام .. وكانت شعبيته تزداد كلما جهر بالمشاعر المناصرة للقومية في خطابه الدفاعي.

وأصبح هتلر هو الشخصية الأكثر شهرة في مدينة ميونيخ على الصعيد القومي.

وفي الأول من أبريل في عام 1924 حكم على هتلر بالسجن لمدة خمس سنوات في سجن لاندسبرج.. وكان الحراس يعاملون هتلر معاملة جيدة.. وكان يتلقى بريداً يحمل إليه الكثير من خطابات المعجبين.

الإفراج عنه:

في التاسع عشر من ديسمبر في عام 1924 صدر أمر بالعفو عنه من المحكمة البافارية العليا.. وتم إطلاق سراحه في العشرين من ديسمبر في عام 1924.

كما أعلنت المحكمة رفضها النهائي لاعتراض المدعي العام للولاية على إطلاق السراح المبكر لهتلر.

وقضى هتلر سنةً أقل من مدة عقوبته حيث اشتملت هذه السنة على الفترة التي قضاها في السجن الاحتياطي انتظاراً لقرار المحكمة.

وفي الوقت الذي تم فيه إطلاق سراح هتلر.. كان الموقف السياسي في ألمانيا قد بدأ يهدأ.. وأخذت الأحوال الاقتصادية في التحسن مما فرض قيوداً على فرص هتلر في الإثارة والتأليب.. وبالرغم من أن انقلاب هتلر العسكري قد أكسبه بعض الشهرة على الصعيد القومي.. فإن قوة الحزب الذي يترأسه هتلر ظل تأثيره محصورًا في مدينة ميونيخ.

حظر نشاط الحزب:

تم حظر نشاط حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني وأعضائه في بافاريا عقب فشل الانقلاب.. وتمكن هتلر من إقناع هاينريش هيلد رئيس وزراء بافاريا بأن يرفع هذا الحظر مستنداً إلى مزاعمه التي أكد فيها على أن الحزب سيسعى الآن إلى الحصول على السلطة السياسية عبر القنوات الشرعية.

وفي السادس عشر من فبراير عام 1925 تم رفع الحظر المفروض على حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني.. وبالرغم من ذلك جَلَبَ هتلر على نفسه حظراً جديداً نتيجةً لخطبة ملتهبة ألقاها تسببت في إثارة الشغب.

ونظراً لحرمانه من إلقاء الخطابات العامة.. قام هتلر بتعيين جريجور شتراسر الذي تم انتخابه في عام 1924 لعضوية الرايخستاج [39] في منصب رئيس منظمة الرايخ.. ومنحه سلطة تنظيم الحزب في شمال ألمانيا.

(39) أي: البرلمان الألماني

وسلك شتراسر - بالإضافة إلى شقيقه الأصغر أوتو وجوزيف جوبلز- مسلكاً بدأت استقلاليته في التزايد مع مرور الوقت ليؤكد بذلك على وجود العنصر الاشتراكي في برنامج الحزب.. وأصبحت قيادة جبهة العمل الألمانية في فرعها الإقليمي في شمال غرب ألمانيا تشكل جبهة معارضة داخلية داخل الحزب لتهدد سلطة هتلر.. ولكن.. لحقت الهزيمة بهذه الزمرة المنشقة في مؤتمر بامبرج الذي عقد في عام 1926 والذي انضم جوبلز خلاله إلى هتلر لبدء رحلتهما معًا.

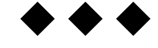
هتلر يستحوذ على الحزب:

وعقب هذا الصدام زاد هتلر من مركزية سلطته في الحزب.. وأكد على وجود منصب القائد الأساسي للحزب كمنصب يجعل منه المسؤول الأساسي عن تنظيم شؤون الحزب.. فلا يتم انتخاب القادة من قِبل الجماعات التي يقومون بقيادتها.. ولكن يقوم رؤساؤهم من ذوي المراكز الأعلى بتعيينهم.. ويكون لهم أيضاً الحق في مساءلتهم.. بينما يتمتع هؤلاء القادة بالطاعة المطلقة ممن هم أقل منهم مركزاً.. وتماشياً مع ازدراء هتلر لفكرة الديمقراطية فقد جعل كل السلطة والنفوذ تنتقل من أعلى لأسفل.

استراتيجية الشرعية

بعد فشل الانقلاب الذي قاده هتلر للإطاحة بجمهورية فايمار.. انتهج هتلر «استراتيجية الشرعية» التي تعني الامتثال الرسمي لمبادئ جمهورية فايمار حتى يتولى زمام الحكم بصفة قانونية.. ومن ثم يمكنه استغلال المؤسسات التابعة لجمهورية فايمار للتخلص من هذه الجمهورية.. وتنصيب نفسه حاكماً على البلاد.

وقد عارض بعض أعضاء الحزب.. لاسيما ممثلي كتيبة العاصفة شبه العسكرية.. هذه الاستراتيجية التي انتهجها هتلر.. وسخر روم وآخرون من هتلر وأطلقوا عليه اسم أدولف الشرعي.





Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل السادس

جمهورية فايمار.. وطريق هتلر إلى السلطة !!

لم تكن جذور جمهورية فايمار قد ترسخت تماماً في المجتمع الألماني حيث واجهت معارضة صريحة من المحافظين الذين ينتمون لليمين السياسي (بما فيهم أنصار الحكم الملكي) والشيوعيين والنازيين.

ولأن ولاء الأحزاب كان للنظام الديمقراطي.. فقد وجدت الجمهورية التي كانت تعتمد على النظام البرلماني نفسها عاجزة عن الموافقة على إجراءات مضادة لهذه الديمقراطية.

وهكذا.. سقطت الحكومة الائتلافية وتم استبدالها بمجلس للوزراء يمثل الأقلية.. وكان على المستشار الألماني الجديد - هاينريش برونينج - ممثل حزب الوسط الكاثوليكي الألماني الذي لم يستطع أن يفوز بأغلبية مقاعد البرلمان أن ينفذ إجراءاته الخاصة من خلال مراسيم طارئة يصدرها الرئيس.

وبعد أن أجازت غالبية الأحزاب هذا التصرف.. أصبح الحكم بموجب مرسوم رئاسي هو القاعدة التي سارت على نهجها سلسلة من البرلمانات التي لم يكن لها أثر فعال.. الأمر الذي مهد الطريق أمام ظهور العديد من الحكومات التي تعمل تحت مظلة الاستبدادية [40].

انتخابات مبكرة:

وأدت معارضة الرايخستاج الأولية للإجراءات التي قام بها برونينج إلى إجراء انتخابات مبكرة في سبتمبر من عام 1930 وفقدت الأحزاب الجمهورية تمتعها بالفوز بغالبية الأصوات.. وكذلك أملها في الدخول مرةً أخرى في حكومة ائتلافية .. بينما انتعش الحزب النازي فجأة من الخمول النسبي الذي كان يتعرض له ليفوز بنسبة 18.3 ٪ من الأصوات وبعدد مائة وسبعة من مقاعد البرلمان.

(40) الحكم الذي يخضع فيه الفرد وحقوقه خضوعاً كاملاً لمصلحة الدولة.

صعود نجم الحزب النازي

وأثناء ذلك.. قفز الحزب النازي من مركزه السابق كتاسع أصغر حزب في المجلس الذي ينتمي إليه من مجلسي البرلمان إلى ثاني أكبر الأحزاب فيه.

وفي الفترة من سبتمبر إلى أكتوبر عام 1930 كان هتلر شاهداً رئيسياً للدفاع في المحاكمة التي أجريت في Leipzig لاثنين من صغار الضباط في قوات الدفاع الوطنية الألمانية لاتهامهم بالانتساب إلى عضوية الحزب النازي.. وهو أمر كان محظوراً في تلك الفترة على العاملين في قوات الدفاع الوطنية الألمانية.. واعترف الضابطان وهما الملازم أول ريشارد شيرينجر والملازم أول هانز لودين بمنتهى الصراحة بانتسابهم إلى الحزب النازي.. واستندوا في دفاعهم إلى أن عضوية الحزب النازي لا ينبغي أن تكون محظورة على الأفراد الذين يخدمون في قوات الدفاع الوطنية الألمانية.

وعندما حاول الادعاء إقناع المحكمة بأن الحزب النازي يشكل قوة ثورية خطيرة تهدد البلاد.. قام أحد المحامين في هيئة الدفاع وهو هانز فرانك باستدعاء هتلر إلى منصة الشهود لكي يثبت أن الحزب النازي يحترم سيادة القانون.

وأثناء الإدلاء بشهادته.. أَصَرَ هتلر على أن حزبه النازي عقد العزم على تقلد زمام الحكم بشكل قانوني وأن عبارة «ثورة وطنية» لا يمكن تفسيرها إلا «من منظور سياسي» وأن حزبه صديق وليس عدواً لقوات الدفاع الوطنية الألمانية.. وحاز هتلر بشهادته التي أدلاها في الخامس والعشرين من سبتمبر عام 1930 على إعجاب العديد من الضباط في سلك العسكرية من ذوي الرتب المختلفة.

وأسفرت إجراءات برونينج لدعم ميزانية الدولة والتقشف المالي الذي انتهجه عن تحسن اقتصادي بسيط ولكنها قوبلت بمعارضة شديدة من الشعب الألماني.

وفي ظل هذه الظروف.. توجه هتلر بالمناشدة والاستغاثة لجمهور المزارعين الألمان.. وقدامى المحاربين وأفراد الطبقة الوسطى الذين عانوا كثيراً تحت وطأة التضخم المالي الذي حدث في العشرينيات والبطالة الناتجة عن الكساد الاقتصادي.

منح هتلر الجنسية الألمانية:

وفي عـام 1932عقـد هتلـر العـزم عـلى ترشـيح نفسـه أمـام الـرئيس الطـاعن في السـن بـاول فـون هيندنبرج في الانتخابات الرئاسية المقررة.. وبالرغم من أن هتلر كان قد ترك النمسا في عام 1913 فإنه لم يكن قد حصل حتى ذلك الوقت على الجنسية الألمانيـة.. ومـن ثـم لا يمكنـه ترشـيح نفسـه لشغل أي منصب عام.

وفي الخامس والعشرين من فبراير 1932 قامت حكومة ولاية Brunswick (41) التـي كـان الحـزب النازي مشتركاً فيها بتعيين هتلر في منصب إداري صغير.. ومنحته الجنسية باعتبـاره مواطنـاً ينتمـي إليها رسمياً.

وهكذا.. حصل هتلر تلقائياً على الجنسية الألمانية.. وأصبح مؤهلاً لخوض الانتخابات الرئاسية.

هتلر يرشح نفسه للرئاسة:

وقام هتلر المواطن الألماني الجديد بترشيح نفسه ضد هينـدنبرج الـذي نـال دعـم قطـاع عـريض مـن المنادين بالقومية الرجعيين وأنصار الحكم الملكي والكاثوليكيين وأنصار الحكم الجمهوري وحتـى الأحزاب الاجتماعية الديمقراطية.

وتواجد على ساحة الانتخابات أيضـاً أحـد المرشـحين مـن ذوي الانـتماء الشـيوعي وكـذلك عضـو يميني ينتمي لجماعة ذات آراء متطرفة.

(41) في هذه الأيام كان للولايات الألمانية الحق في منح الجنسية للمواطنين..

هتلر فوق ألمانيا:

وتم إطلاق اسم «هتلر فوق ألمانيا» [42] على حملة هتلر الانتخابية.. وأشار هذا الاسم إلى معنيين :

أولاً : أشار إلى طموحات هتلر الديكتاتورية.

ثانيًا : إدارته حملته الانتخابية متنقلاً بالطائرة في سماء ألمانيا من جهة أخرى.

وكان هذا الأمر بمثابة تكتيك سياسي جديد تمكن هتلر خلاله من مخاطبة الشعب الألماني في مدينتين خلال يوم واحد.. وهو تكتيك لم يسمع به أحد قبل ذلك الوقت.

وجاء هتلر في المركز الثاني في جولتي الانتخابات حاصلاً على أكثر من خمسة وثلاثين بالمائة من نسبة الأصوات خلال الجولة الانتخابية الثانية التي أجريت في أبريل.. وبالرغم من حسم نتائج الانتخابات لصالح هيندنبرج.. فإنها قد وضعت هتلر كمنافس حقيقي لا يمكن إغفال وجوده على الساحة السياسية في ألمانيا. متأثراً بالمحيطين به من حاشيته الخاصة.. ومستشاريه غير الرسميين.. أصبح هيندنبرج ينفر بشكل متزايد من برونينج.. ويدفع مستشار دولته إلى أن يوجه دفة حكومته في اتجاه محدد يعتمد على فكرة الاستبدادية.. وكذلك على أفكار الاتجاه اليميني.. حتى انتهى الأمر بإجبار وزارة برونينج إلى تقديم استقالتها في مايو من عام 1932.

وزارتي بابن وشلايخر:

وتم تعيين النبيل فرانز فون بابن مستشاراً للبلاد ليترأس «مجلس وزراء البارونات» وكان بابن يميل إلى الحكم الاستبدادي.

ولأن حزب الشعب الوطني الألماني المحافظ (DNVP) كان هو الحزب الوحيد الذي يؤيد إدارة بابن من بين أحزاب الرايخستاج فقد دعا بابن على الفور إلى عقد انتخابات جديدة في يوليو.. وأثناء هذه الانتخابات.. تمكن النازيون من تحقيق أعظم إنجازاتهم التي استطاعوا تحقيقها حتى ذلك الوقت عندما فازوا بمائتين وثلاثين مقعدًا ليصبحوا بذلك أكبر الأحزاب تمثيلاً في الرايخستاج.

(42) بالألمانية: (Hitler über Deutschland)..

هتلر يأبى إلا منصب الرئيس

ولإدراكه إنه من غير الممكن أن يتم تشكيل حكومة مستقرة دون دعم الحزب النازي.. حاول بابن أن يقنع هتلر أن يصبح نائباً للمستشار الألماني .. ويدخل الحكومة الجديدة على أساس برلماني.. وبالرغم من ذلك.. فإن هتلر لم يكن ليرضى بأقل من منصب المستشارية نفسه.. وحاول هتلر أن يمارس المزيد من الضغط على بابن بالدخول في مفاوضات موازية مع حزب الوسط – وهو الحزب الذي كان بابن ينتمي إليه في السابق – وكان يميل إلى إسقاط حكم بابن المرتد عنه.

وفي هذين الخطين المتوازيين من المفاوضات طلب هتلر – بصفته رئيساً للحزب الأقوى – أن يتولى منصب المستشار.. ولكن باول فون هيندنبرج رفض بإصرار أن يقوم بتعيين «وكيل عريف بوهيمي» ـ على حد تعبيره ـ في منصب المستشارية.

وبعد التصويت على حجب الثقة عن حكومة بابن.. تم حل الرايخستاج بتأييد أربعة وثمانين بالمائة من نوابه.. وتمت الدعوة إلى إجراء انتخابات جديدة في نوفمبر.

وفي هذه المرة.. فَقَدَ النازيون بعضاً من مقاعدهم.. ولكنهم احتفظوا بوضعهم كأكبر حزب في الرايخستاج بحصولهم على نسبة 33.1 ٪ من الأصوات.

وبعد أن فشل بابن في الحصول على أغلبية من الأصوات.. تقدم بطلب لحل البرلمان مرةً أخرى مع إرجاء إجراء الانتخابات إلى أجل غير مسمى.

وفي البداية وافق باول فون هيندنبورج على طلبه.. ولكن بعد أن قام الجنرال كورت فون شلايخر والجيش بسحب تأييدهم له قام بدلاً من ذلك بإعفاء بابن من منصبه وتعيين شلايخر خلفاً له.

ووعد شلايخر بالحصول على أغلبية للحكومة عن طريق التفاوض مع الديمقراطيين الاشتراكيين.. والاتحادات العمالية.. والمنشقين عن الحزب النازي الذين كان يتزعمهم جريجور شتراسر.

وفي يناير من عام 1933 كان على شلايخر أن يعترف بفشل جهوده ويطلب من هيندنبرج أن يمنحه سلطات طارئة بالإضافة إلى نفس الطلب بإرجاء إجراء الانتخابات الذي عارضه في وقت سابق.. واستجاب الرئيس لهذه الطلبات بإعفاء شلايخر من منصبه.

تعيين هتلر مستشاراً رغم أنف الرئيس

وفي هذه الأثناء حاول بابن أن يثأر من شلايشر بالعمل على إسقاط الجنرال عن طريق التخطيط لمكيدة مع حاشية المستشارين غير الرسميين.. ومع ألفريد هوجنبرج القطب الإعلامي البارز ورئيس حزب الشعب الوطني الألماني.

كما اشترك في هذه المكيدة هيلمار شاخت وفريتس تيسن ورجال أعمال آخرون بارزون.. وقد قاموا بدعم الحزب النازي مادياً بعد أن كان على وشك الإفلاس بسبب التكلفة الضخمة لحملته الانتخابية.. وكتب رجال الأعمال أيضاً خطابات إلى باول فون هيندنبرج ليقوموا بحثه فيها على تعيين هتلر رئيساً للحكومة «مستقلاً عن الانتماء للأحزاب البرلمانية» وهو عمل من الممكن «أن يسعد إلى أقصى الحدود الملايين من المواطنين».

وأخيراً.. وافق الرئيس على مضض على تعيين هتلر مستشاراً يرأس حكومة ائتلافية يشكلها حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني وحزب الشعب الوطني الألماني.

وعلى الرغم من ذلك كان على هتلر أن يعمل في إطار مجلس محافظ للوزراء.. كان أبرز من فيه هو بابن في منصبه الجديد وهو نائب المستشار.. وهوجنبرج كرئيس للاقتصاد.

وكان فيلهلم فريك هو الوزير الآخر الوحيد الذي ينتمي إلى الحزب النازي بالإضافة إلى هتلر الذي تم إعطاؤه حقيبة وزارية – وهي وزارة الداخلية ذات النفوذ الأضعف نسبياً آنذاك.

وفي محاولة للوصول إلى اتفاق يرضي النازين.. تم تسمية جورنج وزير بلا وزارة.

وفي الوقت الذي عزم فيه بابن أن يجعل من هتلر رئيساً صورياً.. استطاع النازيون أن يصلوا إلى مناصب رئيسية في الوزارة.. وعلى سبيل المثال.. كان أحد أجزاء الاتفاق الذي أصبح هتلر بمقتضاه مستشاراً لألمانيا هو أن تتم تسمية جورينج – وزير داخلية بروسيا – وأن يرأس أكبر قوة للشرطة في ألمانيا.

وفي صباح الثلاثين من يناير في عام 1933 أدى هتلر اليمين كمستشار في مراسم وصفها بعض المراقبين في وقت لاحق بأنها موجزة وبسيطة.

أول خطاب:

ألقى هتلر أول خطاب له كمستشار للدولة في العاشر من فبراير عام 1933 وأنشأ هتلر ما أطلق عليه حرس هتلر الشخصي.. وهي قوة أمن تابعة لوحدات النخبة النازية وكانوا الحرس الشخصي لهتلر.

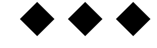
منقذ ألمانيا:

عمل هتلر على كسب الود الشعبي الألماني من خلال وسائل الإعلام التي كانت تحت السيطرة المباشرة للحزب النازي الحاكم وخصوصاً الدكتور جوزيف جوبلز.

فقد روّجت أجهزة جوبلز الإعلامية لهتلر على أنه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادي والحركات الشيوعية إضافة إلى الخطر اليهودي.

وأصبح من حينه كل من لم تنفع معه الوسائل «السلمية» في الإقناع بأهلية هتلر في قيادة هذه الأمة.. يتولى البوليس السري «جيستابو» ومعسكرات الإبادة والتهجير القسري القيام بإقناعه.

وبتنامي الأصوات المعارضة لأفكاره السياسية.. عَمِدَ هتلر إلى التصفية السياسية لكل من يخالفه الرأي.. وأوكل هذه المهمة للملازم «هملر».







الفصل السابع

هتلر بعد وصوله للحكم!!

بعد أن وصل هتلر إلى منصب المستشار.. أحبَطَ كل محاولات خصومه للفوز بأغلبية المقاعد في البرلمان.. ونتيجة لعدم وجود أي حزب من الأحزاب يستطيع الفوز بأغلبية مقاعد البرلمان منفرداً.. فقد أقنع هتلر الرئيس هندينبرج بحل الرايخستاج مرةً أخرى.. وتقرر إجراء الانتخابات في بدايات مارس.

حريق الرايخستاج وانتخابات مارس :

لكن فجأة احترق مبنى الرايخستاج بالنيران في السابع عشر من فبراير من عام 1933 وتم القبض على شخص هولندي شيوعي في المبنى.. فخرجت أبواق الإعلام تنسب الحريق إلى مخطط شيوعي.

وكان رد فعل الحكومة هو إصدار مرسوم حريق الرايخستاج في الثامن والعشرين من فبراير.. وهو المرسوم الذي حرم الحزب الشيوعي (KPD)من حقوقه الأساسية.. ووفقاً لأحكام هذا المرسوم.. تم قمع الحزب الشيوعي الألماني واعتقال موظفيه ونوابه.. ونفي البعض منهم.. وهناك من تم تصفيته جسدياً بالاغتيال.

واستمرت حملة النازيين التي أحسنت استغلال العنف الذي ساد البرلمان وهستيريا معاداة الشيوعية والوسائل التي كانت الحكومة تستخدمها في الدعاية.

وفي يوم الانتخابات في السادس من مارس.. زادت النسبة التي حصل عليها الحزب النازي (NSDAP) إلى 43.9٪ من الأصوات ليحتفظ بأكبر نسبة للتمثيل في البرلمان.

ولكن فشله في تحقيق أغلبية مطلقة أفسد عليه الفرحة بالنصر الذي تمكن من تحقيقه.. مما فرض عليه الحفاظ على الائتلاف الذي شكله مع حزب الشعب الوطني الألماني.

الرايخستاج الجديد:

وفي الحادي والعشرين من شهر مارس من نفس العام 1933 تم إنشاء الرايخستاج الجديد في مبنى بديل للمبنى المحترق.. تمت إقامته في الموقع العسكري التابع لكنيسة بوتسدام.. وتم التخطيط لإقامة «يوم بوتسدام» بحيث يظهر التصالح والوحدة بين الحركة النازية الثورية و«بروسيا القديمة» ومن فيها من صفوة الشخصيات وما فيها من فضائل.. وظهر هتلر في الاحتفال مرتدياً سترة رسمية طويلة مشقوقة الذيل [43] وهو يحيي بتواضع الرئيس كبير السن « هندينبرج».

قانون التمكين:

وبسبب فشل النازيين في الحصول على أغلبية مقاعد البرلمان وحدهم.. فقد توجهت حكومة هتلر إلى الرايخستاج الجديد بقانون أُطِلق عليه اسم قانون التمكين.. وهو قانون يمنح مجلس الوزراء سلطات تشريعية خاصة لمدة أربع سنوات.

وكان القانون الذي تقدموا به كان مختلفاً لأنه كان يسمح أحياناً بالخروج عن الدستور.

ولأن الموافقة على مشروع القانون تستلزم الحصول على أغلبية تتمثل في ثلثي عدد أصوات الرايخستاج.. فإن الحكومة كانت في حاجة إلى الحصول على تأييد الأحزاب الأخرى.

وَحَسمَ حزب الوسط - ثالث أكبر الأحزاب ممثل في الرايخستاج - الموقف.. بعد أن قرر الحزب تحت زعامة لودفيج كاس أن يقوم بالتصويت في صالح قانون التمكين.

واتخذ الحزب هذا القرار مقابل التعهدات الشفوية التي قدمتها له الحكومة بحصول الكُنيسة على الحرية الكاملة.. وقيام الولايات الألمانية باتفاقيات مع البابا لتنظيم الشؤون الكنيسية.. بالإضافة إلى تأمين الاستمرار لوجود حزب الوسط على الساحة السياسية.

وفي الثالث والعشرين من مارس.. اجتمع الرايخستاج في المبنى الجديد.. وقام بعض أفراد كتيبة العاصفة بدور الحرس في هذا الاجتماع.. بينما كانت الجموع الغفيرة تصيح خارج المبنى تردد الشعارات والتهديدات للنواب المتوافدين على المبنى.

(43) هو زي يعرف اصطلاحًا بـ « الأسموكينج »

وأعلـن كـاس أن حـزب الوسـط يؤيـد مشروع القـانون.. بيـنما عارضـه أوتـوفيلز الـذي ينتمـي للديمقراطيين الاشتراكيين (SPD) في خطاب الذي ألقاه أمام البرلمان المجتمِع.

وفي نهايـة اليـوم صـوتت كـل الأحـزاب لصـالح مشروع القـانون.. أمـا الشـيوعيين ومعهـم بعـض الديمقراطيين الاشتراكيين.. وتم منعهم من الحضور.

وهكذا تم اعتماد قانون التمكين بالإضافة إلى مرسوم حريق الرايخستاج.. وبـذلك تحولـت حكومـة هتلر إلى حكومة ديكتاتورية تعمل تحت مظلة القانون.

مولد الديكتاتورية:

وبهذا الاتحاد بين السلطتين التشريعية والتنفيذية.. نجحت حكومة هتلر في القيام بالمزيد مـن القمـع لما تبقـى مـن معارضـة سياسـية أمـامهم.. وتـم حظـر نشـاط الحـزب الشـيوعي الألمـاني.. والحـزب الديمقراطي الاشتراكي.. بينما تم إجبار كل الأحزاب السياسية الأخرى على القيام بحل نفسها.

وأخيراً.. وفي الرابع عشر من يوليو1933 أعلن أن الحزب النازي هو الحـزب الشرعي الوحيـد في ألمانيا.. وقد تم دمج اتحادات العمال مع الاتحادات الفيدرالية للموظفين في منظمـة يرأسـها الـزعيم النازي.. كما تم إلغاء الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به حكومات الولايات الألمانية.

ليلة السكاكين الطويلة:

ثم بدأ هتلر يكشر عن أنيابه أكثر.. وأكثر.. وفي عام 1933 استخدم كتيبة العاصفة شـبه العسـكرية في دفع الرئيس لتقديم استقالته.. واستمر في مخططه نحو عزل نائب المستشـار - بـابن - سياسـياً.. ولأن طلبات كتيبة العاصفة للحصول عـلى السـلطة السياسـية والعسـكرية قـد تسـببت في إحـداث الكثير من القلق بين صفوف القادة العسكريين.. فقد اسـتغل هتلـر المـزاعم التـي تمـت إثارتهـا عـن مخطط قائد كتيبة العاصفة أرنست روم لتطهير الكتيبة من الأعضاء غير المرغوب فيهم خلال الليلة التي أُطلِق عليها ليلة السكاكين الطويلة.. كما تم اغتيال المعارضين غير المتصلين بكتيبة العاصـفة.. خاصةً جريجور شتراسر والمستشار السابق كورت فون شلايشر.

وتم تعديل الدستور في عام 1932 ليصبح رئيس المحكمة العليا رئيساً للبلاد – وليس المستشار – حتى يتم إجراء الانتخابات الجديدة.. وحظر قانون التمكين بصورة خاصة على هتلر القيام بأي تصرفات من شأنها المساس بالسلطة الرئاسية بأي شكل من الأشكال.

ومع ذلك.. لم يجرؤ أي شخص على الاعتراض على ما يفعله هتلر الذى استطاع التخلص من آخر الوسائل الشرعية التي يمكن عن طريقها استبعاده من السلطة قانونياً.. وتخلص معها من كل أشكال الرقابة أو التوازن التي يمكن فرضها على سلطته.

وفاة باول هيندنبورج:

ثم توفي الرئيس باول فون هيندنبورخ في الثاني من أغسطس في عام 1934 وبدلاً من إجراء انتخابات رئاسية جديدة.. قام مجلس الوزراء الذي يرأسه هتلر بالموافقة على قانون يتم بمقتضاه تجميد سلطة رئيس الدولة بشكل مؤقت.. ويضع حكم وسلطات رئيس الدولة في يد هتلر باعتباره فوهرر ومستشار للرايخ.

الولاء الأول لهتلر:

وبصفته رئيساً للدولة.. أصبح هتلر القائد الأعلى للقوات المسلحة.. وعندما حان الوقت الذي يؤدي فيه أعضاء القوات البرية والبحرية يمين الولاء التقليدي.. تم تغيير اليمين التقليدي ليصبح يميناً بالولاء الشخصي لهتلر نفسه.

وفي استفتاء عام تم إجراؤه في منتصف أغسطس 1934 حظت التصرفات التي قام بها هتلر بموافقة نسبة 84.6٪ من الناخبين.. وانتهكت هذه التصرفات عملياً كلاً من الدستور وقانون التمكين.

وفي عام 1938 أجبر هتلر وزير الحرب في حكومته – فيرنر فون بلومبرج – والذي كان وزير الدفاع الأسبق على تقديم استقالته بعد أن ظهرت دلائل على أن زوجة بلومبرج الجديدة لها ماضٍ إجرامي.

وقبل التخلص من بلومبرج.. قام هتلر ورجاله بالتخلص من فريتش الذي تم اتهامه بالمثلية الجنسية (44) .

هتلر يقوم بكل شيء:

واستبدل هتلر وزارة الحرب بما أطلق عليه القيادة العليا للقوات المسلحة أو (OKW).. والتي كان الجنرال فيلهلم كايتل رئيساً لها.

وفي اليوم التالي.. أعلنت الصحف «أقوى تركيز للسلطات في يد الفوهرر» وفي الواقع.. كان هتلر بذلك قد تمكن من جعل آخر المجموعات التي كانت لا تزال تحتفظ بشيء من القوة التي تمكنها من الإطاحة به على الحياد.

هتلر وتأسيس سلاح الجو الألماني

في هذا التوقيت كان اختراع الطائرة هو أحدث ما تفتق عنه ذهن البشرية.. وبالتالي كانت أحدث أسلحة الجيوش.. ومعيار المفاضلة بينها من ناحية التميز.. والقوة.

لذلك كان من الطبيعي أن يكون سلاح الطيران في مقدمة اهتمامات هتلر بعد توليه رئاسة القوات المسلحة.

وتعود نشأة سلاح الجو الألماني إلي الفترة القصيرة التي أعقبت وصول أدولف هتلر إلي الحكم بألمانيا.. وأوكل قيادته إلي هيرمان جورينج.. ذلك الرجل الذى توج مشاركته في معارك الحرب العالمية الأولي بـ22 انتصار جوي.. وكان وقتها يحمل وسام « Orden Pour le Merite » .. وهو من أرفع الأوسمة التى تمنحها الدولة الألمانية.

(44) وهو ما ذكره يوهان تولاند في السيرة الذاتية التي كتبها عن هتلر بعنوان Adolf Hitler.

وفي مارس 1933 تم تأسيس وزارة الرايخ الجوية.. وكان مهمة الوزارة تتمثل في العمل علي تطوير وإنتاج الطائرات اللازمة ومن ثم التأكد من صلاحيتها بإختبارها في موقع الاختبار قبل تحويلها لسلاح الجو الألماني.

وبذلك أمست سلطة غورينغ مطلقة علي Luftwaffe.. ولعب غورينغ دوراً هاماً في تطويره حتي عام 1936 قبل أن يصبح نائبه Milch الوزير الفعلي ابتداءً من 1937.

وفي سياق متصل.. ارتفعت مكانه سلاح الجو الألماني كثيراً.. ووضح ذلك في انضمام كثير من أعضاء تنظيم شبه عسكري كان يسمى NSFK يتبع الحزب النازي الألماني.. وكان قد أنشئ بداية الثلاثينات بديلاً عن القوة الجوية التي كانت محظورة علي ألمانيا بفعل شروط معاهدة «فيرساي Versailles » وهو ما أعطاه خلفية نازية قوية بالمقارنة مع باقي أفرع الجيش الألماني.

وعلى صعيد الاستعداد للحرب أمر هتلر بإدخال العديد من طرازات الطائرات الحديثة للخدمة تحقيقاً لهدف تمثل في بناء قوة جوية ألمانية ساحقة.. وظهر ذلك جلياً في تنوع أدوار ومهام تلك الطائرات.. وذلك كما يلي:

1- Messerschmitt Bf 109 مقاتلة ذات محرك وحيد.

2- Junkers Ju 87 قاذفة مخصصة للعمل ضد الأهداف البحرية.

3- Heinkel He 111 قاذفة متوسطة.

4- Junkers Ju 88.. Messerschmitt Bf 110 مقاتلات ثقيلة بمحركين وكان قد أسند إلي الطائرة Bf 110 مهمة العمل كمقاتلة مرافقة.. ولكن الواقع « خلال معركة بريطانيا» أثبت بصعوبة أدائها لذلك بسبب عدم مرونتها الكافية أمام المقاتلات الخفيفة ذات المحرك الوحيد.. ولذلك تمت إعادة النظر في مهامها.. وتركزت مهامها بعد ذلك بالعمل كقاذفة ليلية ونجحت كثيراً بذلك الدور.

وفي ديسمبر 1934 أراد رئيس أركان الـLuftwaffe «الجنرال Walther Wever» ثقل وإكساب سلاح الجو الألماني عقيدة جديدة لمواجهة التحديات القادمة.. ولهذا.. كان ويفير يجري مناورات جوية « تم محاكاة الفرنسيين فيها كأعداء » كمحاولة لإثبات نظريته القائلة بأهمية القصف الإستراتيجي.. والذي من خلاله يستطيع تدمير صناعات العدو الحربية والمدنية.. كما واشتملت المناورات التدريبية علي شن ضربات تكتيكية ضد القوات البرية ومراكز اتصالات العدو ..

وفي العام 1935 أصدر توجيهه رقم 16 بعنوان The Conduct of the Air War أو إدارة الحرب الجوية حيث رسم في ذلك التوجيه السياسات التي يجب علي اتباعها لتنفيذ الأهداف المطلوبة .

ولكي كون الجنرال ويفير قادراً علي تنفيذ نظرية القصف الاستراتيجي.. كان لابد من توافر الأدوات التي تمكنه من القيام بذلك.. وبالتالي.. أدرك أهمية وجود قوة قاذفات استراتيجية.. وتكّون لديه رأي.. بأن الطائرات التكتيكية يمكن لها أن تكون خطوة ومحطة في بناء قوة جوية كاسرة.. وفي مايو 1934.. قرر الجنرال ويفير العمل علي مشروع القاذفة أورال Ural Bomber والتي ستمنح سلاح الجو الألماني علي الوصول بضرباته إلي قلب الاتحاد السوفييتي.. وبالفعل أثمر المشروع عن بروتيوب لقاذفتين هما.. Do 19 و Ju 89 وإن كان كلاهما غير مجديين.. الأمر الذي دفع الجنرال ويفير عام 1936 إلي عرض مواصفات القاذفة التي يريدها تحت مسمي Bomber A والتي من المقرر أن يكون مداها العملياتي يصل إلي 6700 مع القدرة علي حمل 900 كجم من القنابل.. وتلك المواصفات «المغالي فيها » أدت إلي فشل مشروع القاذفة Heinkel He 177 خلال سنوات الحرب .

بموت الجنرال ويفير في حادثة تحطم طائرة He 70 في 3 يونيو 1936.. بدأ خلفاءه q Ernst Udet. Albert Kesselring بالعمل علي تغيير عقيدة سلاح الجو الألماني ليكون أكثر انسجاماً في مهام العمل التكتيكي وتقديم الدعم المباشر للقوات البريـة.. وعلي الرغم من كون الجنرال Udet خبيراً تقنياً إلا أنه تم تعيينه علي رأس المكتب التقني التابع لوزارة الرايخ الجوية.. وساعد منصبه هذا علي تشجيع الاتجاه نحو الاهتمام بقاذفات القنابل التكتيكية ، المتوسطة ، التي تستطيع تدمير قوة العدو الجوية بميدان المعركة بدلاً من قصف المصانع المنتجة لطائرات العدو..

وبالتالي.. انحصر تطوير وإنتاج الطائرات الألمانية علي القاذفات المتوسطة ذات المحركين.. والتي تحتاج لمجهود فني وبشري أقل مما كان عليه مشروع ويفير Ural Bombers.. وهذا النوع من القاذفات تسطيع الصناعات الحربية الألمانية التكيف معه.. ببناء ما بين قاذفتين إلي 3 يومياً إذا لزم الأمر.. وهذا لم يكن مناسباً في مشروع ويفير السابق.. وقد أشار هيرمان غورينغ إلي تلك النقطه بالقول « إن الفوهرر لن يسئل عن كم هو حجم الطائرة ؟ بل سيسئل عن كم هي أعدادها ؟؟ ».. وبهذا التحول في عقيدة سلاح الجو الألماني.. كان لموت الجنرال ويفير أحد أفضل مخططي الـ Luftwaffe أثر واضح في عدم تكوين ألمانيا لقوة جوية استراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية.. و ظهر تأثيره السلبي علي المجهود الحربي الألماني خلالها .

وفي الفترة من مارس 1934 حتي إبريل 1936 حدث نمو كبير في قوة الـLuftwaffe حيث زادت عديد طائراته من 77 إلي 2700 طائرة حتي عام 1935 فقط.. وكان جزء من تلك القوة مخصصة لدعم القوات البرية وتقع تحت سيطرة عمليات الجيش.. إلا أن غورينغ نجح في جعل هذا الجزء أيضا.. تحت قيادة الـ Luftwaffe .

وخلال تلك الفترة.. دخلت طائرات Bf 109، He 111، Ju 87، Do 17 .. الخدمة الفعلية ضمن جحفل Condor للعمل ضد طائرات الإمداد السوفييتية.. وقد أدرك الـ Luftwaffe في ضوء المتغيرات المتلاحقة في عالم الطائرات.. أن عصر المقاتلات ذات الجناحين biplane قد ولي.. وتم إدخال المقاتلة He 51 الخدمة كطائرة تدريب.. وقد أثبتت طائرات Heinkel و Dornier جدارة في الاعتماد عليهم.. حيث لبياً إحتياجات سلاح الجو الألماني الخاصة بمتطلباته لقاذفات أسرع من المقاتلات.. ولكن علي الرغم من ذلك.. كانت طائرة Ju 52 هي العمود الفقري لسلاح الجو الألماني خلال اشتراك جحفل Condor في الحرب الأهلية الإسبانية وقد أشار هتلر لذلك بالقول « علي فرانكو الوقوف منتصباً احتراماً لعظمة الطائرة Ju 52 وأن الثورة الإسبانية مدينة بالعرفان لتلك الطائرة » .

وبحلول صيف عام 1939 كان لدي سلاح الجو الألماني 9 أجنحة جوية Jagdgeschwader مجهزة بطائرات Bf 109E بالإضافة إلي وحدات المدمرات rergeschwader المجهزة بالمقاتلة الثقيلة 110 Bf.. و 11 جناح جوي مزود بطائرات 111 He و Do 17Z.. بالإضافة إلي 4 أجنحة قاذفات أعماق.. وواجه تصميم الطائرة 88 Ju صعوبات كثيرة وكانت المحصلة 12 طائرة فقط عندما بدأت سحب المعركة تلف سماء أوروبا .

وبالتالي كانت قوة الـ Luftwaffe زادت لتصبح 4000 طائرة.. منها 1100 مقاتلة ذات محرك واحد ، 400 مقاتلة بمحركين، 1100 قاذفة متوسطه، 290 طائرة طراز Stuka.. والباقي.. تنوع ما بين 500 طائرة للنقل و 300 طائرة استطلاع.. وبحلول ربيع عام 1940 لم يكن سلاح الجو الألماني قد تم تعبئته بالكامل.. ولذلك قام الجنرال Ernst Udet بزيادة معدل ساعات العمل بمصانع إنتاج الطائرات.. وخلال تلك الفترة.. كان قد تم تكوين 30 سرب معترضات و 16 سرب مقاتلات بالإضافة إلي وحدات أخري.. وقام سلاح الجو الألماني بالتوسع كثيراً في البرامج التدريبية للطيارين.. حيث أصبحت مدارس الطيران حوالي 63.. وتركزت معظمها شرقي ألمانيا.. ووصل عدد الطائرات إلي 4727.. ووصل حجم القوة البشرية لـ Luftwaffe قرابة 2.2 مليون موظف.. وعدد الطيارين وصل إلي 3941 .



الفصل الثامن

هتلر ..
ولا شيء بعده !!

Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

اختار هتلر رمز الصليب المعقوف ليصبح علم الدولة النازية الجديدة بعد تمكنه من إحكام سيطرته على السلطة السياسية فيها بشكل كامل.

وحاول أن يكسب تأييد الجماهير لسياساته عن طريق إقناع معظم الشعب الألماني بأنه سينقذهم من موجة الكساد الاقتصادي التي اجتاحت العالم.. وكذلك من آثار معاهدة فرساي والشيوعية و«البلاشفة اليهود» .

وكذلك من تأثير الأقليات الأخرى «غير المرغوب فيها» واستأصل النازي كل معارضة صادفته عن طريق العملية التي أطلق عليها التنسيق بين كل الأنظمة ودمجها في نظام واحد.

الاقتصاد والثقافة:

أشرف هتلر على واحدة من أكبر التوسعات في مجال الإنتاج الصناعي والتطويرات المدنية التي شهدتها ألمانيا طوال تاريخها.. وقد اعتمد في ذلك على أسلوب تعويم الديون وزيادة عدد أفراد القوات المسلحة.

وشجعت السياسة النازية النساء على المكوث في المنزل لإنجاب الأطفال والعناية بالمنزل.

وتحدث أدولف هتلر في إحدى خطبه التي ألقاها في سبتمبر من عام 1943 أمام الرابطة الاشتراكية الوطنية للمرأة قائلاً:

« إنه بالنسبة للمرأة الألمانية لا بد من أن يتركز عالمها حول زوجها وعائلتها وأطفالها وبيتها».

وعزز هتلر الإيمان بهذه السياسة بمنحه صليب الشرف الخاص بتكريم الأم الألمانية لكل امرأة تلد أربعة من الأطفال أو أكثر.. وفعلياً.. تراجع معدل البطالة عن طريق عاملين أساسيين وهما:

- تنشيط صناعة السلاح في ألمانيا.
- عودة النساء للمكوث في منازلهن حيث سمح ذلك للرجال بالحصول على الوظائف التي كن يشغلنها.

لذلك كان الادعاء الذي ساد في هذه الفترة بأن الاقتصاد الألماني استطاع أن يصل تقريباً إلى العمالة الكاملة يرجع جزئياً – وذلك على أقل تقدير – إلى الدعاية البارعة التي تم استخدامها في هذا العهد.

سياسة التلاعب بالعملة:

حصل هتلر على معظم التمويل الذي استخدمه في إعادة بناء البلاد وإعادة التسلح من سياسة التلاعب بالعملة للتأثير على الأسعار في الأسواق التجارية التي قام بها هايهار شاخت.. وهو رئيس البنك المركزي الألماني في هذا العهد والمسؤول عن العملة.

وتضمنت سياسة التلاعب إصدار سندات مشكوك في أمرها ومنها تلك التي كانت تعرف باسم «Mefo bills» وهي سندات إضافية قامت حكومة النازي بإصدارها – بدءاً من عام 1934 وما بعده – تحت غطاء شركة «Metallurgische Forschung» وعرف اسمها اختصاراً باسم «MEFO»..

تطوير البنية التحتية :

وبدءاً من عام 1934 كان هتلر يشرف بنفسه على واحدة من أكبر حملات تطوير البنية التحتية في التاريخ الألماني.. واشتمل هذا التطوير على إنشاء العديد من السدود.. والطرق السريعة التي تسير عليها المركبات.. وطرق السكك الحديدية إلى جانب عدد آخر من الإنشاءات المدنية.

وأكدت سياسات هتلر على أهمية الحياة الأسرية.. وهي الحياة التي يسعى فيها الرجل وراء كسب لقمة العيش بينما تكون الأولوية في حياة المرأة لتربية الأطفال والعناية بشئون المنزل.. وجاء هذا الانتعاش في مجاليّ الصناعة والبنية التحتية على حساب المستوى العام للمعيشة.. على الأقل بالنسبة لمن لم يتأثروا بحالة البطالة المزمنة التي كانت تسيطر على البلاد أثناء عهد جمهورية فايمار.. وذلك لأن الأجور قد تم تخفيضها قليلاً في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية على الرغم من ارتفاع نفقات المعيشة بنسبة خمسة وعشرين بالمائة.

وبدأ العمال والفلاحون - وهي الفئات التي كانت تعطي أصواتها لصالح حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني – يشعرون بطفرة في مستوى المعيشة الخاص بهم.







الفصل التاسع

هتلر والحرب العالمية الثانية!!



◆◆◆

والآن ننتقل إلى أهم صفحات حياة هتلر.. وهي تلك الصفحة المغمورة بشلالات الدماء.. وظلال الدمار.. الناجمين عن اندلاع أواصر الحرب العالمية الثانية.

ونستطيع أن نجمل ملخص الأحداث التي تسببت في اندلاع الحرب العالمية الثانية في مجموعتين من الأحداث.. بعضها عملت كأسباب مباشرة.. والأخرى عملت كأسباب غير مباشرة.

أسباب غير مباشرة :

- معاهدات الصلح التي وقعت عقب الحرب العالمية الأولى والتي لم ترضي بعض الأطراف
- قيام ونشأة الأنظمة الدكتاتورية في كل من (ألمانيا- إيطاليا-اليابان-أسبانيا)..
- الأزمة الاقتصادية العالمية (الكساد الكبير)..

أسباب المباشرة :

- سياسة العدوان التي اتبعها هتلر في أوروبا التي أفضت إلي الحرب .
- تسليح الجيش الألماني ورفض معاهدة فرساي سنة 1935.
- احتلال منطقة الراين سنة 1936.
- وقوف هتلر وموسوليني إلى جانب فرانكو في أسبانيا في ما بين 1936 – 1939.
- ضم النمسا إلي ألمانيا عام 1938 بحجة أنها امتداد جغرافي في ألمانيا.. وسكانها ألمان.
- ضم إقليم السوديت في تشيكوسلوفاكيا بحجة أن سكانها من الألمان.. ثم ضم تشيكوسلوفاكيا كلها فيما بعد عام 1939.
- الاستيلاء على (ممر دانزيج) البولندي عام 1939 وكان ذلك بداية الحرب العالمية الثانية عندما أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا.

الدول المشتركة في الحرب:

دول المحور: تكونت دول المحور من الثلاثي (ألمانيا-إيطاليا-اليابان)

بينما تكونت دول الحلفاء من كلٍ من : فرنسا- بريطانيا- الاتحاد السوفيتي- الولايات المتحد الأمريكية- ومجموعة كبيرة من الدول الأخرى المستقلة.. والمستعمرة.. وبلغ عدد الدول المشتركة 62 دولة.

إرهاصات الحرب العالمية الثانية!!

شهدت فترة الحكم النازي التي سبقت الحرب العالمية الثانية.. الكثير من مشاهد التحول في السياسات الخارجية لألمانيا..علي سبيل المثال:

- تحسين العلاقات مع بولندا رغم استقطاع معاهدة فرساي لبعض الأراضي الألمانية لصالح بولندا ثم الاتجاه لضمها إلى ألمانيا في بداية الحرب.
- قطع العلاقات مع الصين وتوقيع اتفاقية المحور مع اليابان.
- الدخول في تحالف مع إيطاليا رغم انسحابها من المعسكر الألماني في الحرب العالمية الأولى والتي يمكن اعتبارها خيانة عسكرية والتي كانت من الأسباب الرئيسية لخسارة ألمانيا للحرب

النمسا وتشيكوسلوفاكيا:

وفي مارس من عام 1938 مارس هتلر ضغوطاً على النمسا لضمها إلى ألمانيا.. وبالفعل في الرابع عشر من مارس من العام نفسه.. دخل هتلر فيينا منتصراً.. وبعد ذلك.. أكد هتلر على الأزمة الموجودة حول مناطق ستوديتتلاند [45] التابعة لتشيكوسلوفاكيا والتي يتحدث سكانها اللغة الألمانية.

(45) منطقة حدودية تقع بين ألمانيا والنمسا ويتحدث أهلها الألمانية.

اقتراح بإقامة اتحاد دولي للسيطرة على إفريقيا:

والتقى السفير البريطاني – سير نيفيل هندرسون – بهتلر في الثالث من مارس في عام 1938 نائباً عن حكومته ليتقدم باقتراح لإقامة اتحاد دولي يهدف إلى السيطرة على معظم القارة الأفريقية..على أن يكون لألمانيا دوراً قيادياً في هذا الأمر.. وذلك مقابل الحصول على وعد من ألمانيا بعدم اللجوء إلى الحرب لتغيير الحدود.

وهتلر يرفض:

إلا أن هتلر رفض العرض البريطاني.. حيث إنه كان مهتماً بتوسيع المجال الحيوي في أوروبا الشرقية أكثر من اهتمامه بالدخول في اتحادات دولية.. وبرر هتلر هذا الرفض برغبته في عودة المستعمرات الألمانية في أفريقيا إلى حكم الرايخ.. لا أن يدخل في اتحاد دولي يحكم أفريقيا الوسطى.

فضلاً عن ذلك اعتبر هتلر إنه من الإهانة البالغة من قبل بريطانيا أن تملي شروطاً على ألمانيا تتعلق بكيفية إدارة شؤونها في أوروبا مقابل الحصول على منطقة في أفريقيا.

وأنهى هتلر حديثه مع هندرسون قائلاً : إنه على استعداد للانتظار عشرين عاماً قادمة لاستعادة المستعمرات الألمانية في أفريقيا.. على أن يقبل شروط بريطانيا الخاصة لتجنب الحرب.

علاوةً على ذلك.. عقد هتلر يومي الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من مارس عام 1938 سلسلة من الاجتماعات السرية في برلين مع كونراد هنلاين.. قائد حزب الجبهة الداخلية.. وهو أكبر الأحزاب العرقية الألمانية في ستوديتنلاند.

وأثناء هذه الاجتماعات تم الاتفاق على أن يقدم هنلاين ذريعة تغزو بها ألمانيا تشيكوسلوفاكيا وهي مطالبة الألمان في منطقة ستوديتنلاند حكومة براج بحقهم في الحصول على الحكم الذاتي.. وهو مطلب من غير المحتمل أن تقره الحكومة هناك.

وفي أبريل من عام 1938 أخبر هنلاين وزير خارجية المجر أنه «مهما كانت عروض الحكومة التشيكية سخية.. فإنه سيستمر في زيادة المطالب.. لإفساد أية وسيلة للتفاهم لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتدمير تشيكوسلوفاكيا سريعاً.

قضية ستودينتلاند:

وبشكل غير معلن.. لم تكن قضية منطقة ستوديتلاند ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهتلر.. بل إن نواياه الحقيقية كانت استغلال هذه القضية كوسيلة يبرر بها داخل البلاد وخارجها شن الحرب على تشيكوسلوفاكيا وتدميرها بدافع حق أهل هذه المنطقة في تقرير مصيرهم ورفض حكومة براج تلبية مطالب هنلاين.

وخطط هتلر لضرورة وجود تعزيزات عسكرية ضخمة على الحدود التشيكية.. ولشن هجمات دعائية ضارية تتحدث عن الاضطهاد الذي يلقاه الألمان في هذه المنطقة.

وأخيراً.. لإلقاء الضوء على مجموعة من الحوادث بين نشطاء الجبهة الداخلية والسلطات التشيكية بغرض تبرير الغزو الذي سيجتاح تشيكوسلوفاكيا سريعاً في حملة تستغرق أياماً قلائل قبل هتلر أن تتمكن القوى الأخرى من التدخل.

وبما أنه كان يرغب في حصد أكبر قدر من الثمار.. وإكمال ما أطلق عليه اسم «الحائط الغربي» لحماية منطقة راينلاند.. فقد اختار أن يتم الغزو في آخر سبتمبر أو في بدايات شهر أكتوبر من عام 1938.

أما في أبريل من عام 1938 فقد أمر هتلر القيادة العليا للقوات المسلحة بالتحضير لخطة للاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا والتي أطلق عليها اسم الخطة الاستراتيجية لغزو تشيكوسلوفاكيا.

أزمة مايو:

وكانت أزمة مايو التي استمرت في الفترة ما بين التاسع عشر والثاني والعشرين من مايو في عام 1938 من العوامل التي أدت إلى زيادة التوتر في أوروبا.

وكانت هذه الأزمة عبارة عن إنذار كاذب أطلقته شائعات تحذيرية بتعرض تشيكوسلوفاكيا للغزو في غضون عدة أيام.. تتوافق مع الأسبوع الذي ستجرى فيه الانتخابات المحلية هناك في البلاد.. وكذلك التقارير الخاطئة التي تحدثت عن تحركات خطيرة للجيوش الألمانية على طول الحدود التشيكية قبل إجراء الانتخابات مباشرة.

ومن العوامل الأخرى التي أكدت على ذلك قتل الشرطة التشيكية لاثنين من الألمان العرقيين.. وتلميحات ريبنتروب التي تحمل معنى العنف لهندرسون عندما سأله الأخير عن مدى صحة الأخبار القائلة بوقوع غزو في نهاية ذلك الأسبوع.

وقد أدى هذا الأمر إلى قيام تشيكوسلوفاكيا بالتعبئة الجزئية للقوات.. وإطلاق لندن تحذيرات صارمة من الغزو الألماني المحتمل.. وذلك قبل أن تدرك عدم صحة هذه الشائعات وأنه لا وجود لأي غزو ألماني.

لندن تهدد :

وعلى الرغم من عدم التخطيط لأي غزو في مايو من عام 1938 فإن البعض في لندن كانوا يعتقدون بأن برلين تفكر في هذا الأمر حتماً مما أدى إلى صدور إنذارين في يومي الحادي والعشرين.. والثاني والعشرين من شهر مارس مفادهما أن المملكة المتحدة على استعداد للدخول في حرب إلى جانب ألمانيا في حالة دخول فرنسا في حالة حرب ضد ألمانيا.

ومن جانبه.. استخدم هتلر كلمات أحد معاونيه من الضباط وعبر عن شعوره «بالغضب» العارم بسبب اضطراره للتراجع بعد عملية التعبئة التي قامت بها تشيكوسلوفاكيا.. وبعد تحذيرات كل من لندن وباريس على الرغم من أنه لم يخطط للغزو في نهاية هذا الأسبوع.

الغزو.. قادم.. قادم

وبالرغم من أن مسودة خطة الغزو كانت قد وُضِعت بالفعل في أبريل من عام 1938 لغزو تشيكوسلوفاكيا لاحقاً.. فإن أزمة مايو وفكرة الهزيمة الدبلوماسية قد زادتا من قناعة هتلر بصحة المسار الذي اختاره.

ويبدو أن أزمة مايو قد أقنعت هتلر بصعوبة التوسع «دون مساندة بريطانيا» وأن التوسع «ضد بريطانيا» كان النهج الوحيد القابل للتطبيق في ذلك الوقت.

ومن النتائج المباشرة التي ترتبت على أزمة مايو أن هتلر قد أصدر أوامره بإسراع الخطى في صناعة السفن البحرية بصورة تفوق المنصوص عليه في المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا.

مذكرة Heye memorandum

وجاء لأول مرة في المذكرة المعروفة باسم Heye memorandum والتي صدرت بناءً على أوامر من هتلر – أن الأسطول الملكي البريطاني هو العدو الرئيسي للقوات البحرية الألمانية.

هتلر يقرر: سحق تشيكوسلوفاكيا

فضلاً عن ذلك.. أعلن هتلر في المؤتمر الذي أقيم في الثامن والعشرين من مايو في 1938 أن قراره الخاص «بسحق تشيكوسلوفاكيا» بحلول الأول من أكتوبر من نفس العام «غير قابل للتغيير».

وكان تبريره لهذا الأمر هو أن هذه هي الطريقة التي من الممكن أن يؤمن بها الجناح الشرقي في الجيش «حتى يتمكن من الزحف نحو الغرب في إنجلترا وفرنسا».

وفي المؤتمر نفسه.. أعرب هتلر عن اعتقاده الراسخ بأن بريطانيا لن تخاطر بشن الحرب إلا بعد الانتهاء من عملية إعادة التسلح التي يعتقد هتلر أنها كانت ستتم بين عامي 1941 و1942.

كما ينبغي على ألمانيا أن تتخلص من فرنسا وحلفائها في أوروبا في الفترة ما بين الأعوام 1938 و1941 وهي الفترة التي ستكون فيها عملية إعادة التسلح الألمانية لا تزال قيد التنفيذ.

خطة «Fall Grün»:

وأدى إصرار هتلر الشديد على تنفيذ خطة «Fall Grün» في عام 1938 إلى إثارة أزمة خطيرة داخل الهيكل القيادي في ألمانيا.

فقد احتج رئيس أركان الحرب.. الجنرال لودفيج بيك.. في سلسلة مطولة من المذكرات قام بتقديمها على أن خطة «Fall Grün» ستتسبب في إشعال حرب عالمية تخسرها ألمانيا.

كما حث هتلر على التخلي عن فكرة الحرب التي يخطط لها.. أما هتلر فقد رأى أن آراء بيك المضادة للحرب ما هي إلا «حسابات طفولية» على حسب تعبيره.

ألمانيا تستعد بشكل جدي:

وبدايةً من شهر أغسطس عام 1938 وصلت أخبار إلى لندن تفيد بأن ألمانيا بدأت في تحريك جنود الاحتياط.. كما تسربت بعض الأخبار من قِبل عناصر تعارض الحرب في الجيش الألماني بأن الحرب ستشتعل في وقت ما في شهر سبتمبر.

الخطة الرابعة (Fourth Plan):

وفي النهاية.. ونتيجة لضغوط دبلوماسية شديدة من فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص.. كشف الرئيس التشيكي إدفارد بينيس.. يوم الخامس من سبتمبر في عام 1938 عما أطلق عليه «الخطة الرابعة» (Fourth Plan) لإعادة التنظيم الدستوري لدولته.. والذي يلبي فيها معظم مطالب الألمان في ستوديتنلاند الخاصة بالحكم الذاتي والتي تقدم بها هنلاين في خطابه الذي ألقاه في منطقة كارلسباد في شهر أبريل من عام 1938 كما صرح الرئيس التشيكي بأنه سيبطل كل الذرائع حتى لا يعطي الألمان الفرصة لغزو دولته.

وسرعان ما جاءت استجابة حزب الجبهة الداخلية بزعامة هنلاين لعرض «الخطة الرابعة» بإثارة سلسلة من الاشتباكات العنيفة مع الشرطة التشيكية والتي وصلت إلى ذروتها في منتصف سبتمبر.. مما أدى إلى إعلان الأحكام العرفية في مناطق معينة في ستوديتنلاند وكرد فعل مباشر لهذا الموقف الحرج.

الخطة Plan Z

فكر رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين[46] في اللجوء للخطة التي تم إطلاق اسم Plan Z عليها.. والتي تقضي بسفره إلى ألمانيا والالتقاء بهتلر للتوصل إلى اتفاقية تعمل على إنهاء الأزمة.

وفي الثالث عشر من سبتمبر في عام 1938 تقدم تشامبرلين السفر إلى ألمانيا لبحث حل هذه الأزمة.

وهكذا.. قرر رئيس الوزراء تنفيذ Plan Z رداً على المعلومات الخاطئة التي أصدرتها المعارضة الألمانية والتي تنذر بأن الغزو الألماني من المتوقع حدوثه في أي وقت بعد يوم الثامن عشر من سبتمبر من العام نفسه.

وبالرغم من عدم رضا «هتلر» عن عرض« تشامبرلين».. فإنه قد وافق على مقابلة رئيس الوزراء لأن رفضه لهذا العرض سيكذب مزاعمه التي دأب على تكرارها عن كونه رجل سلام لا يدفعه إلى الحرب سوى عناد الرئيس التشيكي بينيس.

(46) آرثر نيفيل تشامبرلين (Arthur Neville Chamberlain) رئيس وزراء ووزير بريطاني وهو سياسي ينتمي إلى حزب المحافظين.. ولد عام 1869 لأب يدعى جوزيف تشامبرلين وهو أحد زعماء حزب المحافظين.. ووزير المالية في وزارة سالسبوري وصاحب مبدأ التفضيل الإمبراطوري كما أنه أخ (غير شقيق) لأوستن تشامبرلين.. وزير الخارجية في وزارة ستانلي بلدوين.. تميزت سياسته الخارجية بالحرص على السلام.. فعمل على إلغاء العقوبات التي فرضتها عصبة الأمم ضد إيطاليا بعد غزو الحبشة.. وإعلان حياد إنجلترا في الحرب الأهلية الإسبانية.. وعدم الاحتجاج على= =ضم النمسا لألمانيا.. عقد هو ونظيره الفرنسي إدوارد دلادييه معاهدة ميونخ مع ألمانيا النازية في نهاية سبتمبر1938 بغية استرضاء زعيمها هتلر وحقن الدماء.. وباستيلاء هذه الأخيرة على تشيكوسلوفاكيا في مارس 1939 ثم مهاجمة بولندا بدلت بريطانيا سياستها الخارجية بإقرار مساعدة كل من بولندا ورومانيا واليونان وتركيا.. وبعد دخول بريطانيا الحرب عام 1940 وفشل حملة النرويج أثار البرلمان حملة ضده مما أدى إلى استقالته في 10 مايو 1940 وخلفه تشرشل. جدير بالذكر أنه عندما باشر تشامبرلين شخصيًا إدارة السياسة الخارجية رغم عدم خبرته بشؤون أوروبا اعتمد على التقارير الخاصة التي كان يقدمها له مستشاره الخاص السير هوراس ولسون أكثر من اعتماده على المعلومات التي كانت تصله من وزراء الخارجية وهم إيدن الذي استقال في شهر فبراير عام 1938 وهاليفاكس.. واعتقد تشامبرلين بإمكانية احتواء الشكاوى من ألمانيا بعقد محادثات مباشرة مع هتلر.. على هذا الأساس قام فعلاً بزيارة هتلر خلال أزمة تشيكوسلوفاكيا عام 1938 في بربختسادن وجودسبرج.

وفي أثناء القمة التي عُقِدت في منطقة بيرشتيسجادين وعد تشامبرلين بالضغط على بينيس ليوافق على مطالب هتلر المعلنة بخصوص تحويل تبعية منطقة ستودينتلاند إلى ألمانيا في مقابل الوعد الذي أبرمه هتلر على مضض بتأجيل اتخاذ أي رد فعل عسكري حتى يتيح الفرصة أمام تشامبرلين ليفي بوعده.

وما كان هتلر ليوافق على هذا التأجيل إلا لتأكده من فشل تشامبرلين في الحصول على موافقة حكومة براج بتحويل تبعية ستودينتلاند.

ولذلك أصابه إحباط شديد عندما نجحت الضغوط البريطانية والفرنسية في مساعيها.. وجعلت حكومة براج تجيب إلى طلبه.. وزاد من صعوبة المحادثات التي تمت في سبتمبر من عام 1938 بين هتلر وتشامبرلين اختلاف المفاهيم المتأصلة لدى كل منهما فيما يتعلق بالشكل الذي يجب أن تتخذه الخريطة الأوروبية.. فقد كان هتلر يهدف إلى التذرع بمشكلة ستودينتلاند لإشعال الحرب.. بينما كان تشامبرلين يناضل في سبيل إيجاد حل سلمي للمشكلة.

قمة باد جوديسبيرج:

عندما عاد تشامبرلين إلى ألمانيا في الثاني والعشرين من سبتمبر من العام نفسه لعرض خطة السلام المتمثلة في نقل تبعية ستودينتلاند إلى ألمانيا في قمة يتم عقدها مع هتلر بمنطقة باد جوديسبيرج فوجئ الوفد البريطاني المفوض للتفاوض برفض هتلر تنفيذ الشروط التي وضعها بنفسه في بيرشتيسجادين.

وفي سبيل القضاء على جهود السلام المبذولة من قبل تشامبرلين إلى الأبد.. طالب هتلر تشيكوسلوفاكيا بالتخلي تماماً عن ستودينتلاند في موعد أقصاه الثامن والعشرين من سبتمبر في عام 1938 دون إجراء مفاوضات بين براج وبرلين ودون تفويض دولي لمراقبة عملية نقل التبعية.

إلى جانب ذلك.. طالب هتلر بعدم إجراء أي استفتاءات عامة في المناطق التي سيتم نقل تبعيتها إلى ألمانيا قبل الانتهاء من هذه العملية.. وأضاف هتلر أن ألمانيا لن تتخلى عن خيار الحرب إلا بعد أن تتوصل تشيكوسلوفاكيا إلى حلول لادعاءات بولندا والمجر ضدها.

تشامبرلين يحتج:

وهنا ظهر مدى تباين الآراء بين كل من هتلر وتشامبرلين جلياً عندما تعرف الأخير على المطالب الجديدة للأول.. واحتج على لهجة الإنذار التي اتسمت بها هذه المطالب.. مما دفع هتلر إلى أن يرد بحجة معاكسة مفادها أنه نظراً لأن الوثيقة المدون بها مطالبه معنونة باسم «مذكرة».. فهذا يعني أنها ليست إنذاراً.

بريطانيا ترفض إنذار باد جوديسبيرج:

وفي الخامس والعشرين من سبتمبر في عام 1938.. قامت بريطانيا برفض إنذار باد جوديسبيرج وبدأت في الاستعداد للحرب.. وللتأكيد على هذه النقطة زار سير هوريس ويلسون – المستشار الصناعي الأول في الحكومة البريطانية – والمساعد المقرب لتشامبرلين هتلر كرسول ليخبره أنه في حالة هجوم ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا.. فإن فرنسا ستنفذ التزاماتها الخاصة بالتحالف مع تشيكوسلوفاكيا والتي تم إبرامها في عام 1924 ومن ثم ستجد إنجلترا نفسها ملزمة بعرض المساعدة على فرنسا.

اقتراح موسوليني:

وخلال يومي 27 و28 سبتمبر وإصراراً منه على شن الهجوم المقرر في الأول من أكتوبر 1938 أعاد هتلر التفكير فيما عقد النية على القيام به ووافق على اقتراح قدمه موسوليني وتوسط لقبوله خاص بعقد مؤتمر في ميونيخ يحضره كل من تشابرلين وموسوليني ورئيس الوزراء الفرنسي إدوارد دالادييه [47] لبحث الوضع في تشيكوسلوفاكيا.

(47) إدوارد دلادييه (Édouard Daladier) سياسي فرنسي تولى رئاسة الوزارة في فرنسا ثلاث مرات: من 31 يناير إلى 26 أكتوبر 1933.& من 30 يناير إلى 9 فبراير 1934.& من 10 أبريل 1938 إلى 21 مارس 1940 ورغم توليه منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات.. إضافة إلى توليه عدة مناصب وزارية منها وزير الحرب والدفاع الوطني (1936-1940).. إلا أن الكثيرون يتذكرون فترة رئاسته الأخيرة للوزراء.. التي حاول فيها مع نظيره البريطاني نيفيل تشامبرلين تقديم تنازلات للزعيم النازي أدولف هتلر تكفل تجنب اندلاع حرب جديدة (كما كانا يتصوران).. وذلك بالتنازل عن أراضي إقليم السوديت من أراضي جمهورية تشيكوسلوفاكيا لصالح ألمانيا النازية في مؤتمر ميونخ في نهاية سبتمبر 1938. لكنهما فوجئا بعد بضعة أشهر (في مارس 1939) بقيام قوات هتلر باحتلال ما تبقى من أراضي تشيكيا.. فأدركا أن الحرب لا مفر منها.. فقاما بالإعداد لها. وعندما غزا هتلر بولندا في 1 سبتمبر 1939.. قامت حكومتا تشامبرلين و دلادييه بإعلان الحرب على ألمانيا بعد يومين. ومع ذلك لم تشن قوات الحلفاء عمليات عسكرية ذات قيمة طوال الفترة المتبقية من حكم دلادييه التي انتهت في مارس 1940

أما الأسباب التي دعت هتلر إلى تغيير موقفه فليست واضحة.. ولكن يبدو أن هذه الأسباب تكمن في اتحاد التحذيرات البريطانية والفرنسية على نفس الفكرة خاصةً بعد تحرك الأسطول البريطاني بالفعل مما جعل هتلر يرى أخيراً النتائج التي ستؤول إليها خطة Fall Grün.

كذلك ظهوره بمظهر المعتدي نتيجة لطبيعة التصريحات التي يمكن أن تكون ذريعة لنشوب الحرب.. والتي أعلنها عن التوقيت الذي يطالب فيه بتحويل تبعية ستودينتلاند.. إلى جانب آراء مستشاريه الألمان بعدم استعداد ألمانيا للدخول في حرب عالمية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية.

أيضاً.. كانت هناك تلك التحذيرات التي تلقاها من بعض الدول التي كان ينظر إليها على أنها دول حليفة له وتتضمن إيطاليا واليابان وبولندا والمجر والتي جاء فيها أنها لن تحارب بالنيابة عن ألمانيا.

أخيراً.. كانت هناك إشارات تامة الوضوح إلى أن غالبية الشعب الألماني غير راضٍ عن فكرة الحرب بشكل عام.

بالإضافة إلى ذلك.. كانت ألمانيا تعاني من نقص الإمدادات الكافية من الزيت وغيره من المواد الخام الأساسية.. حيث كانت المصانع المقرر لها أن تنتج النفط الصناعي لاستخدامه في المجهود الحربي الألماني لم تعمل بعد.. وكان الاعتماد لدرجة كبيرة على الواردات من الخارج.

كما أعلنت القوات البحرية الألمانية أنه في حالة الدخول في حرب مع بريطانيا فإنها لن تستطيع اختراق الحصار البريطاني.

ولأن ألمانيا لم يكن لديها تقريباً أي مخزون احتياطي من الزيت.. فإن هذا السبب يكفي وحده لخسارتها الحرب.

كما أخبرت وزارة الاقتصاد هتلر أن ألمانيا لا تمتلك سوى 2.6 مليون طن من الزيت في الوقت الحالي وأن الدخول في حرب ضد بريطانيا وفرنسا يستلزم ما لا يقل عن 7.6 مليون طن من الزيت.

ومنذ الثامن عشر من سبتمبر في عام 1938 رفضت بريطانيا إمداد الرايخ بالمعادن.

وفي الرابع والعشرين من سبتمبر منعت قيادة البحرية الملكية البريطانية السفن البريطانية من الإبحار إلى ألمانيا.

وقامت بريطانيا باحتجاز ناقلة البترول Invershannon التي تحمل 8600 طن من البترول إلى مدينة هامبورج بألمانيا مما أدى إلى حدوث تأثيرات سلبية اقتصادية مباشرة على ألمانيا.

ومع الأخذ في الاعتبار أن ألمانيا كانت تعتمد على استيراد الزيت (حيث إن 80٪ من البترول في ألمانيا خلال فترة الثلاثينات من القرن العشرين كان يأتي إليها من قارات العالم الجديد) بالإضافة إلى أن احتمال دخول ألمانيا في حرب مع بريطانيا كانت ستضعها في حصار يقطع عنها إمدادات الزيت التي تحتاجها.. ويرى المؤرخون أن قرار هتلر بإيجاد حل سلمي وإلغاء خطة Fall Grün يرجع إلى مخاوف هتلر حيال مشكلة الزيت.

مؤتمر ميونيخ:

وفي المؤتمر الذي استغرق يوماً واحداً وتم عقده في ميونيخ وحضره كل من هتلر وشامبرلين ودالادييه وموسوليني (48) تم توقيع معاهدة ميونيخ التي استجابت لطلبات هتلر الظاهرية ونقلت تبعية المناطق الموجودة في ستوديتتلاند إلى ألمانيا.

وبما أن لندن وباريس كانتا قد وافقتا بالفعل على فكرة نقل تبعية المنطقة المتنازع عليها في منتصف شهر سبتمبر.. فإن المؤتمر قد تناول في يوم واحد المحادثات الخاصة بالمسائل الفنية المتعلقة بكيفية تنفيذ عملية نقل التبعية.

كما ناقش المؤتمر التنازلات البسيطة التي سيقوم بها هتلر والتي تتمثل في أن تتم عملية نقل التبعية في غضون عشرة أيام في شهر أكتوبر بتفويض دولي يراقب عملية نقل التبعية.. وستنتظر ألمانيا حتى يتم تسوية الادعاءات المجرية والبولندية.

وفي ختام المؤتمر.. وقع هتلر معاهدة صداقة ألمانية بريطانية علق عليها تشامبرلين آمالاً كبيرة بينما لم تكن لهذه المعاهدة لدى هتلر أدنى أهمية.

وعلى الرغم من أن تشامبرلين كان راضياً عن مؤتمر ميونيخ.. الأمر الذي أدى إلى إدعائه الزائف بأن هذا المؤتمر قد ضمن «تحقيق السلام في الوقت الراهن» فإن هتلر كان من داخله يشعر بالغضب الشديد لاضطراره «التخلي» عن الحرب التي كان يصبو إلى دخولها في عام 1938.

(48) موسوليني (29 يوليو 1883 – 28 أبريل 1945) هو حاكم إيطاليا ما بين 1922 و1943 كان في فترة حكمه رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها. سمي بالدوتشي أي القائد. بالإيطالية دخل حزب العمال الوطني ولكنه خرج منه بسبب معارضة الحزب لدخول إيطاليا الحرب عمل موسوليني في تحرير صحيفة إفانتي (إلى الأمام) ومن ثم أسس ما يعرف بوحدات الكفاح التي أصبحت النواة لحزبه الفاشي الذي وصل به إلى الحكم بعد المسيرة التي خاضها من ميلانو في الشمال حتى روما في الوسط دخل الحرب العالميه الثانية مع دول المحور أعدم مع أعوانه السبعة عشر في ميدان «دونجو» بميلانو على يد الشعب الإيطالي عام 1945.

هتلر رجل العام:

وكنتيجة للقمة التي تم عقدها فاز هتلر في استفتاء مجلة تايم بلقب رجل العام وذلك في عام 1939 . وقد رحب رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين.. بهذه المعاهدة باعتبارها «مبادرة للسلام في الوقت الراهن» ولكن أثناء مساعيهم لاستمالة هتلر وكسب رضائه.. تركت كل من فرنسا وبريطانيا تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة هتلر.

وبالرغم من أن هتلر كان قد أعلن على الملأ عن سعادته الغامرة إثر تحقيق مطالبه الظاهرية.. فإنه كان قد عقد العزم سراً على الدخول في حرب المرة القادمة التي يتاح له فيها ذلك حتى يتأكد من أن مطالب ألمانيا المستقبلية قد تم الحصول عليها.

ورأى هتلر من وجهة نظره أن مبادرة السلام التي توسطت فيها بريطانيا كانت بمثابة هزيمة دبلوماسية لألمانيا بالرغم من أنها تخدم بشدة مطالب ألمانيا الظاهرية.. وذلك لأنها أثبتت أن أحلامه للتوسع في الشرق لن تتحقق إلا بالقضاء على قوة بريطانيا.

وفي أعقاب معاهدة ميونيخ شعر هتلر أنه نظراً لأن بريطانيا لن تتحالف مع ألمانيا أو تلتزم الحياد مما يسمح لألمانيا بتحقيق طموحاتها في القارة الأوروبية.. فقد أصبحت تُشكل تهديداً رئيسياً لألمانيا.

وهكذا.. حلت بريطانيا محل الاتحاد السوفيتي في ذهن هتلر باعتبارها العدو الرئيسي للرايخ من وجهة نظره ..الأمر الذي يستلزم إعادة توجيه السياسات الألمانية.

وفي التاسع من أكتوبر عام 1938 في مدينة ساربروكين (Saarbrücken) أعرب هتلر عن خيبة أمله تجاه معاهدة ميونيخ عندما هاجم شخصيات اعتبرهم من المحافظين الذين لا يسعون أبداً إلى تهدأة الأوضاع.. وهم وينستون تشيرشل [49] وألفريد داف كوبر وأنتوني إيدن [50] والذين وصفهم بأنهم زمرة من مثيري الحرب المعادين لألمانيا والذين سيهاجمون ألمانيا في أول فرصة تسنح لهم.

وعبر عن اعتقاده أن هؤلاء الأشخاص من الممكن أن يتقلدوا زمام الأمور في بريطانيا في أية لحظة.. وفي نفس الخطاب.. أعلن هتلر:

«نحن الألمان لن نتحمل بعد اليوم هذا التدخل الذي يفرض سلطته علينا.. يجب على بريطانيا أن تلتفت لشؤونها وتهتم بحل مشكلاتها هي فقط».

وفي نوفمبر من عام 1938 أمر هتلر بإطلاق حملة دعائية كبرى ضد بريطانيا تم فيها استخدام عبارات التجريح التي تستنكر «سياسة النفاق» التي تنتهجها بريطانيا للحفاظ على إمبراطوريتها في جميع أنحاء العالم.. بينما تسعى لمنع الألمان من تكوين إمبراطوريتهم الخاصة.

وتم تخصيص جزء من هذه الحملة الدعائية لانتقاد انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها بريطانيا في تعاملها مع انتفاضة العرب في كل من فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني وفي الهند.. وكذلك سياسة النفاق التي انتهجتها بريطانيا في انتقادها لحادثة ليلة الزجاج المحطم (Kristallnacht) التي تحدثنا عنها من قبل ووقعت في نوفمبر من عام 1938 ويشير هذا إلى تحول هائل عن الأفكار التي سادت خلال السنوات الأولى من عهد الرايخ الثالث عندما كانت وسائل الإعلام الألمانية تقدم الإمبراطورية البريطانية في صورة رائعة ومميزة.

---

(49) السير ونستون ليونارد سبنسر تشرشل ولد في(30 نوفمبر 1874) قصر بلنهايم في محافظة أكسفوردشاير في إنجلترا. كَانَ رجلَ دولة إنجليزيَ وجندي ومُؤلفَ وخطيب مفوه. يعتبر أحد أهم الزعماءِ في التاريخِ البريطانيِ والعالميِ الحديثِ.. توفي في 24 يناير عام 1965 عن عمر 91 عاما.

(50) توني إيدن .. (مواليد 12 يونيو 1897 – توفي 14 يناير 1977) – رئيس الوزراء البريطاني الأسبق .. شغل منصب وزارة الخارجية في وزارة الحرب التي ألفها تشرشل 1940–1945م.. ثم تولاها مرة أخرى 1951–1955 .. ثم عين رئيسا لوزارة سنة 1955 .. كان المحرك الأكبر لتحالف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في شن العدوان الثلاثي سنة 1956 على مصر. واستقال بعدها.

وفي نوفمبر من عام 1938 صدر أمر لوزير الخارجية جواشيم فون ريبنتروب بتحويل اتفاقية مكافحة الشيوعية إلى تحالف عسكري مفتوح مناهض لبريطانيا يكون مقدمة لإعلان الحرب على كل من بريطانيا وفرنسا.

وفي السابع والعشرين من يناير عام 1939 وافق هتلر على تنفيذ الخطة التي عرفت باسم Plan Z وهو برنامج للتوسع البحري يستمر لمدة خمس سنوات ويدعو إلى تأسيس قوات بحرية ألمانية بحلول عام 1944 تضم عشرة بوارج وأربع حاملات للطائرات وثلاثة طرادات مقاتلة وأربعة وأربعين طرادة خفيفة وثماني طرادات ثقيلة وثمانية وستين مدمرة ومائتين وتسعة وأربعين غواصة ألمانية وذلك بهدف سحق البحرية الملكية البريطانية.. ويمكن أن نلمس أهمية هذه الخطة من خلال الأوامر التي أصدرها هتلر والتي تقضي برفع القوات البحرية الألمانية من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولي من حيث الأحقية في الحصول على المواد الخام والأموال والعمالة الماهرة.

وفي ربيع عام 1939 أصدر هتلر أوامره إلى القوات الجوية الألمانية بالبدء في بناء قوة استراتيجية من قاذفات القنابل يكون هدفها هدم المدن البريطانية هدماً تاماً.

واستدعت خطط هتلر لحربه ضد بريطانيا وجود سلاح هجومي مشترك بين القوات البحرية الألمانية.. والقوات الجوية الألمانية يقوم بتوجيه «ضربات إبادة سريعة» على المدن وسفن الشحن البريطانية لأنه من المتوقع « أن تستسلم بريطانيا وتعلن الخضوع في اللحظة التي يتم فيها قطع الإمدادات عنها». وتوقع هتلر أن تفوق تجربة الحياة في إحدى الجزر البريطانية تحت وطأة الحصار والمجاعة ونيران القذف قدرة الشعب البريطاني على الاحتمال.

هتلر: كنت مضطراً

وفي نـوفمبر مـن عـام 1938 ذكـر هتلـر في أحـد خطاباتـه السريـة التـي ألقاهـا أمـام مجموعـة مـن الصحفيين الألمان أنه كان مكرهاً على الحديث عن السـلام باعتبـاره الهـدف الـذي يسـعى إليـه مـن أجل أن يتمكن من الوصول إلى مستوى إعادة التسلح «الذي كان يعتبر مطلباً ضرورياً.. بالنسبة للمرحلة القادمة».

وفي نفـس الخطـاب أعـرب هتلـر عـن تـذمره نظـراً لأن الدعايـة الخاصـة بالسـلام التـي أطلقهـا في السنوات الخمس السابقة قد حققت نجاحاً كبيراً.. وأنـه قـد حـان الوقـت الآن لكـي يخـرج عـلى الشعب الألماني بفكرة الترويج للحرب.

وأوضح هتلر أن «التجربة العملية قد برهنت على أن الدعاية التي روجت للسلام في العقد السابق كانت فكرة محفوفة بالمخاطر لأنها مـن السـهل جـداً أن تقنـع الشـعب بـأن الحكومـة الحاليـة تلتـزم بقرارها وبنواياها للحفاظ على السلام تحت كل الظروف».

وعوضاً عن ذلك.. دعا هتلر إلى وجود نوع جديد من الصـحافة «تقـع عـلى عاتقـه مسـئولية تقـديم وقائع معينة في السياسة الخارجية بأسلوب يجعـل صـوت الشـعب نفسـه يعلـو بالهتافـات بضرورة البدء في استخدام القوة».

وفي وقت لاحق من نوفمبر في عام 1938 أَعَرَبَ هتلر عن خيبة الأمل التي كان يشعر بها من تلـك النصائح الحريصة التي كان يتلقاها من بعض الجهات.

وأطلق هتلـر عـلى كـل مـن الخبـير الاقتصـادي كـارل فريـدريش جـويردلر والجنـرال لـودفيج بيـك ودكتور هيلمار شاخت والدبلوماسي أولريش فون هاسل ورجل الاقتصاد ردولف بـرينكمان اسـم «دوائر التفكير الحريص أكثر من اللازم».

فقد حاولوا عرقلته عن إتمام مهمته عبر مناشدته بتوخي الحذر في تصرفاته. وكانت حاجة هتلر إلى مهاراتهم.. هي التي منعته من «التخلص منهم في يوم من الأيام أو القيام بشيء من هذا القبيل» .

وفي ديسمبر من عام 1938 تسلمت مستشارية الفوهرر برئاسة فيليب بوهلر خطاباً يتعلق بطفلة تدعى صوفيا كناور مصابة بعجز بدني وذهني شديد وتعيش في مدينة ليبزيج.. في تلك الفترة.. كانت هناك منافسة شرسة بين مكتب بوهلر.. ومكتب مستشارية الرايخ الذي يرأسه هانز هيانريش لامرز.. والمستشارية الرئاسية بزعامة أوتو مايسنر.. ومكتب الضابط المساعد لهتلر فيلهيلم بروكنر.. ومكتب نائب الفوهرر الذي كان يسيطر عليه عملياً مارتن بورمان على السعي لنيل الحظوة عند هتلر.

وكجزء من لعبة القوة التي يستخدمها ضد خصومه.. قدم بوهلر الخطاب الذي يتعلق بالطفلة المعاقة إلى هتلر الذي أعرب عن شكره لبوهلر لأنه أطلعه على هذا الأمر.. وكان رده على هذا الخطاب هو توجيه أمر إلى طبيبه الشخصي د.كارل براندت بقتل الطفلة.

وفي يناير من عام 1939 أمر هتلر كل من بوهلر ود.براندت بالبدء منذ تلك اللحظة في قتل جميع الأطفال المعاقين الذين يولدون في ألمانيا.. وكان ذلك هو أصل برنامج القتل الرحيم.

ونتيجة لذلك أخذ كل من د.براندت وبوهلر يتصرفان دون الرجوع لهتلر.. في محاولة لكسب رضاه حيث قاموا بالتوسع في عملية القتل وفقاً لبرنامج القتل الرحيم لقتل جميع الأطفال المعاقين بدنياً أو ذهنياً في ألمانيا كمرحلة أولى ثم قتل البالغين المعاقين كلهم بعد ذلك.

وفي أواخر عام 1938 وبدايات عام 1939 أدت الأزمة الاقتصادية المستمرة التي سببتها مشكلات عملية إعادة التسلح خاصةً تلك المشكلة التي تتعلق بنقص العملات الصعبة التي كانت تحتاج إليها ألمانيا لشراء المواد الخام التي كانت تنقصها.. بالإضافة إلى التقارير التي وردت من جورينج بشأن استحالة تنفيذ الجدول الزمني المقرر «لخطة السنوات الأربعة» بهتلر إلى أن يضطر في يناير من عام 1939 لأن يصدر على مضض أمراً ينص على تخفيض حصص المواد التي تلزم قوة الدفاع.. بحيث يتم تخفيض حصة الصلب بنسبة ثلاثين بالمائة.. والألومنيوم بنسبة سبعة وأربعين بالمائة.. والأسمنت بنسبة خمسة وعشرين بالمائة.. والمطاط بنسبة أربعة عشر بالمائة.. والنحاس بنسبة عشرين بالمائة.

التصدير أو الموت

وفي الثلاثين من يناير عام 1939 ألقى هتلر خطاباً تحت عنوان: «التصدير أو الموت» يدعو فيه إلى بناء اقتصاد ألماني «هجومي» أو «معركة الصادارت» كما أطلق عليها هتلر من أجل زيادة ما تملكه ألمانيا من العملة الأجنبية والتي تحتاج إليها لشراء المواد الخام مثل الحديد عالي الجودة اللازم للمواد العسكرية.

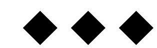
وعُرف هذا الخطاب أيضاً باسم «خطاب النبوءة».. ويأتي الاسم الذي عرف به هذا الخطاب من «نبوءة» هتلر التي صرح بها في الجزء الأخير من خطابه.. والذى يقول فيه:

«هناك شيء واحد أود أن أقوله في هذا اليوم وأود أن يبقى محفوراً في ذاكرة الآخرين وفي ذاكرتنا نحن الألمان: على مدى مشوار حياتي.. أتاحت لي الظروف في أحيان كثيرة أن أتنبأ ببعض الأمور التي سخر مني الآخرون عندما صرحت بها.. وأثناء كفاحي للوصول إلى السلطة.. كان اليهود هم أول من قبلوا نبوءاتي بقدر من السخرية خاصةً عندما صرحت بأنني سأتولى زعامة الدولة في يوم من الأيام.. وزعامة الأمة بأسرها.. وأنني سأتمكن حينها من تسوية مشكلة اليهود وأقوم بالكثير من الأمور الأخرى.. وكانت ضحكاتهم صاخبة..

ولكنني أظن أنهم يسخرون منذ فترة طويلة من الوقت فيما لا ينبغي السخرية منه.. اسمحوا لي اليوم أن أخبركم مرةً أخرى بواحدة من نبوءاتي.. فإذا نجحت القوى المالية اليهودية خارج أوروبا في إقحام الأمم مرةً أخرى في حرب عالمية جديدة.. فإن النتيجة لن تكون سيادة البلشفية في كل أرجاء الأرض فحسب – وبالتالي تحقيق اليهود للنصر – بل ستكون هلاك العرق اليهودي في أوروبا!».

وعلى الأقل يتمثل جزء من السبب الذي دفع هتلر إلى انتهاك معاهدة ميونخ – عندما قام بالاستيلاء على النصف التشيكي من تشيكوسلوفاكيا في مارس من عام 1939 – في رغبته للحصول على مصادر جديدة للثروة والقوة تساعده في التغلب على أزمته الاقتصادية.

وأصدر هتلر أوامره إلى الجيش الألماني بدخول براج في الخامس عشر من مارس في عام 1939 وبدخول قلعة براج أعلن أن منطقتي بوهيميا ومورافيا قد أصبحتا تحت الحماية الألمانية. وكذلك مناطق ستودينتلاند [51] التابعة لتشيكوسلوفاكيا والتي يتحدث سكانها اللغة الألمانية.



(51) منطقة حدودية تقع بين ألمانيا والنمسا ويتحدث أهلها الألمانية.



Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل العاشر

الحرب العالمية الثانية !!

◆◆◆

كانت هناك ضرورة حتمية من وجهة نظر هتلر – انطلاقاً من منهجه في معاداة بريطانيا – لضم بولندا إلى جانب ألمانيا باعتبارها دولة تابعة أو حتى دولة محايدة في هذا الصراع.. واعتقد هتلر أن تحقيق ذلك يمثل ضرورة على الصعيد الاستراتيجي من ناحيتين:

- ضمان تأمين الجانب الشرقي للرايخ.
- تجنب الأثر السلبي للحصار البريطاني.

وكان طموح ألمانيا في المقام الأول ينصب على تحويل بولندا إلى دولة تابعة لها.. ولكن مع حلول مارس من عام 1939 وعندما رفضت بولندا المطالب الألمانية ثلاث مرات.. عقد هتلر العزم على تدمير بولندا تنفيذاً للهدف الرئيسي للسياسة الخارجية لألمانيا .

وفي الثالث من أبريل لعام 1939 أمر هتلر قواته العسكرية ببدء التجهيز للمخطط المعروف باسم غزو بولندا.. وهو مخطط يقضي بتنفيذ الغزو الألماني في الخامس والعشرين من أغسطس في عام 1939.

وفي أغسطس من عام 1939 تحدث هتلر مع قادته العسكريين عن خطته الرئيسية لعام 1939 فقال:

«لابد من إقامة علاقة مقبولة بين ألمانيا وبولندا من أجل محاربة الغرب.. ولكن نظراً لأن البولنديين لن يقبلوا التعاون مع ألمانيا من أجل إقامة علاقة مقبولة [52].. فقد رأى هتلر أنه لن يكون هناك بديل عن محو بولندا من الوجود.

وانقسم الشعب الألماني إلى مجموعتين إحداهما تؤمن بفكرة تدمير بولندا (فقد كانت المشاعر المعادية لبولندا قوية جداً في الجيش الألماني).. والأخرى تعارض الفكرة.. وفي الحالتين كان الجميع متخوفين من فكرة الدخول في حرب مع بريطانيا وفرنسا.

(52) العلاقة المقبولة من وجهة نظر هتلر لا تعني سوى موافقة بولندا على أن تصبح دولة تابعة لألمانيا.

وفي مناقشاته الخاصة مع أعوانه.. كان هتلر دائماً ما يصف بريطانيا بأنها العدو الأساسي لألمانيا الذي يجب أن تلحق به الهزيمة.

ومن وجهة نظره.. كان محو بولندا من الوجود بمثابة مقدمة ضرورية يجب أن تتم حتى يتمكن من تحقيق الهدف الذي يسعى إليه وهو تأمين الجانب الشرقي من بلاده وإضافة المزيد إلى المجال الحيوي لألمانيا.

وشعر هتلر بالإهانة البالغة من «الوعد» الإنجليزي بحماية الاستقلال البولندي الذي تم الإعلان عنه في الحادي والثلاثين من شهر مارس في عام 1939 وأخبر معاونيه أنه سيسقي البريطانيين من مر الكأس حتى يستجيروا» .

وفي خطابه الذي ألقاه في مدينة فيلهيلمسهافن الألمانية بمناسبة تدشين البارجة « Admiral Tirpitz» في الأول من أبريل من عام 1939 هدد هتلر بإلغاء المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا إذا أصر البريطانيون على «سياسة التطويق» والتي تتمثل في «ضمانهم» للاستقلال البولندي.

وكجزء من منهجه الجديد.. أبدى هتلر تبرمه في خطاب ألقاه أمام الرايخستاج في الثامن والعشرين من أبريل في عام 1939 من «سياسة التطويق» التي تستعملها بريطانيا مع ألمانيا.. وأعلن إلغاء كل من المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا ومعاهدة عدم الاعتداء الألمانية البولندية.

ولإيجاد ذريعة للاعتداء على بولندا.. طالب هتلر بضم مدينة دانزيج التي تتمتع بالحكم الذاتي.. وكذلك بحقه في إنشاء طرق «إقليمية إضافية» عبر الممر البولندي الذي تم اقتطاعه من ألمانيا رغماً عنها بموجب معاهدة فرساي.

وكانت مدينة دانزيج بالنسبة لهتلر مجرد ذريعة لتبرير اعتدائه على بولندا تماماً كما فعل في حالة منطقة ستودينتلاند في عام 1938 وطوال عام 1939.

وهكذا.. ظهر تعارض ملحوظ في مخططات هتلر بين منهجه طويل الأجل المعادي لبريطانيا – الذي أعد له العدة بالتوسع لحد كبير في «القوات البحرية الألمانية» «والقوات الجوية الألمانية» والذي كان سيستلزم سنوات عديدة حتى يكتمل – وبين سياسته الخارجية الحالية التي انتهجها على مدار عام 1939 والتي كانت ستؤدي على الأرجح إلى اندلاع حرب عامة إثر القيام بأعمال مثل الاعتداء على بولندا.

واستطاع هتلر أن يتغلب على التمزق الذي كان يعاني منه بين أهدافه القصيرة الأجل.. وأهدافه طويلة. الأجل بمساعدة وزير الخارجية ريبنتروب.. الذي أخبر هتلر بأن فرنسا وبريطانيا لن يلتزما بوعودهما تجاه بولندا.. وبالتالي ستكون أي حرب بين ألمانيا وبولندا حرباً إقليمية محدودة.

وأرجع ريبنتروب تقديره للموقف بشكل جزئي إلى إحدى العبارات التي زعم أن وزير الخارجية الفرنسي جورج بونيت.. قد قالها له في ديسمبر من عام 1938 عندما أخبره أن فرنسا الآن تنظر إلى أوروبا الشرقية باعتبارها منطقة نفوذ تخضع لألمانيا وحدها.

علاوةً على ذلك.. كان منصب ريبنتروب السابق كسفير لألمانيا في لندن سبباً جعل هتلر ينظر إليه باعتباره الخبير النازي الأول في الشؤون البريطانية.. وبالتالي كان لنصيحته عند هتلر وزنها وأهميتها.

كذلك أطلع ريبنتروب هتلر على البرقيات الدبلوماسية التي تدعم تحليله فقط دون غيرها من البرقيات التي لا تساند تحليله.

كما أن السفير الألماني في لندن هيربرت فون ديركسن.. عمد إلى إرسال تقارير من شأنها دعم تحليل ريبنتروب مثل الرسالة التي حملها موفده الخاص في أغسطس من عام 1939 والتي ورد فيها أن نيفيل تشامبرلين يعلم أن «الهيكل الاجتماعي لبريطانيا لن يتحمل الفوضى الناجمة عن الحرب حتى وإن انتصر فيها بالرغم من إيمانه بفكرة الإمبراطورية البريطانية» وبالتالي سيتراجع عن فكرة الحرب.

هتلر يتأثر بنصيحة ريبنتروب

ويمكن ملاحظة الدرجة التي تأثر بها هتلر بنصيحة ريبنتروب من خلال أوامره التي أصدرها إلى الجيش الألماني في الحادي والعشرين من أغسطس عام 1939 بإعلان حالة تعبئة محدودة ضد بولندا وحدها.

واختار هتلر آخر أغسطس كموعد لتنفيذ مخطط Fall Weiss وذلك للحد من الأثر السلبي لإعلان حالة التعبئة على الإنتاج الزراعي الألماني.

وكانت المشكلات التي نجمت عن الحاجة لبدء الحملة على بولندا في آخر أغسطس أو بدايات سبتمبر حتى يتم الانتهاء منها قبل موسم هطول الأمطار في شهر أكتوبر.. وكذلك حتى تحصل القوات الألمانية على قدر كافٍ من الوقت لتستطيع الاحتشاد على الحدود البولندية وقد فرضت على هتلر وضعاً وجد نفسه فيه في أغسطس من عام 1939 في أمس الحاجة لتعاون السوفيت معه إذا كان يريد أن يدخل الحرب في هذا العام.

وكانت معاهدة ميونيخ كافية لتبديد آخر أمل تبقى لدى بعض الدوائر السوفيتية بالاعتقاد في فكرة «معاهدة الأمن الجماعي» .

وفي الثالث والعشرين من أغسطس في عام 1939 وافق جوزيف ستالين على عرض هتلر لإبرام اتفاقية عدم اعتداء (معاهدة مولتوف- ريبنتروب).. وهي المعاهدة التي نصت بنودها السرية الاتفاق على تقسيم بولندا.

معاهدة مولوتوف ـ ريبنتروب :

تعتبر معاهدة مولوتوف - ريبنتروب بمثابة البروتوكول السري لتقسيم أوروبا الشرقية وهو ما يمكن اعتباره اتفاق عدم اعتداء تم عقده بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا.. وكان للاتفاق ملحق (بروتوكول) سري تناول تحديد مناطق نفوذ الطرفين في أوروبا الشرقية.

مقدمات توقيع المعاهدة:

سبقت توقيع المعاهدة مباحثات جرت في مارس عام 1939 بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي.. وأفشلها عمليًا الشريكان الأوروبيان اللذان حاولا في هذا الوقت نفسه إجراء حوار سري مع ألمانيا لدفعها إلى الحرب ضد الاتحاد السوفيتي. غير أن هاتين الدولتين فوجئتا بتوقيع معاهدة مولوتوف – ريبنتروب.. علمًا أنه قبل ذلك تقلصت العلاقات السياسية والاقتصادية بين موسكو وبرلين وحدثت نزاعات مسلحة مع حلفاء ألمانيا في أسبانيا حيث وقف الاتحاد السوفيتي إلى جانب الجمهورية الأسبانية ضد حكومة الجنرال فرانكو المدعوم من ألمانيا.. وفي الشرق الأقصى حيث شارك الاتحاد السوفيتي في الحرب مع اليابان بالتعاون مع منغوليا.

وفي 23 أغسطس عام 1939 تم توقيع المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا.. ووقع المعاهدة فياتشيسلاف مولوتوف وزير الخارجية السوفيتي من جانب الاتحاد السوفيتي ويواهيم ريبنتروب وزير الخارجية الألماني من جانب ألمانيا.

وصل ريبنتروب إلى موسكو في 23 أغسطس واتجه مباشرة إلى الكرملين حيث التقى بستالين ومولوتوف.

وبحلول ليلة اليوم نفسه تم توقيع كافة الوثائق.. وبررت العجلة في توقيع المعاهدة برغبة هتلر في أن يكون الاتحاد السوفيتي حليفًا له عشية هجومه على بولندا.. علماً بان ألمانيا قررت البدء في العمليات الحربية في بولندا أواخر أغسطس..أو مطلع سبتمبر.. وبررت كذلك بفشل المباحثات بين الاتحاد السوفيتي من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة اخرى.

البروتوكولات السرية للمعاهدة:

حتى الآن فإن البروتوكولات الإضافية السرية حول حدود مناطق النفوذ في أوروبا الشرقية التي تم توقيعها خلال زيارة ريبنتروب إلى موسكو تثير اهتماماً خاصاً لدى الباحثين والمؤرخين.. علماً بأن وجود الوثائق السرية كان يقضي في واقع الأمر ببدء الحرب.

وانطلاقًا من ذلك فإن ألمانيا احتلت بولندا في 1 سبتمبر عام 1939.

أما الاتحاد السوفيتي فضم الأقاليم البولندية المحاذية لأوكرانيا وبيلوروسيا [53] كما ضم الاتحاد السوفيتي بعد مرور فترة دول البلطيق الثلاث.. وهي استونيا ولاتفيا وجزء كبير من لتوانيا المعاصرة التي كانت قبل عام 1917 ضمن أراضي الإمبراطورية الروسية.

وبموجب ذلك البروتوكول تم في يونيو عام 1940 إدخال القوات السوفيتية إلى منطقة بيسارابيا التي تدخل ضمن جمهورية مولدافيا المعاصرة[54].

والجدير بالذكر أنه لم يتم الالتزام بمعاهدة مولوتوف – ريبينتروب سوى لفترة أقل من سنتين.. حيث أقدمت ألمانيا على خرقها بغزوها للاتحاد السوفييتي في22 يونيو عام 1941.

دوافع هتلر لدخول الحرب

ونعود لهتلر لنتعرف أكثر على الأسباب التي تقف وراء خياراته في مجال السياسة الخارجية في عام 1939 من أهم الموضوعات التاريخية التي يثور الجدال بشأنها.

1- الدافع الاقتصادي:

هناك رأي يقول بأن الأزمة المتعلقة بالبنية الاقتصادية لألمانيا هي التي دفعت هتلر لأن «يهرب منها إلى الحرب».. وهناك رأي آخر يقول بأن تصرفات هتلر كانت متأثرة بدرجة أكبر بعوامل غير اقتصادية.. وهو الرأي الذي يتبناه المؤرخ الاقتصادي الشهير ريتشارد أوفري..

(53) علما بأن هذه الأقاليم تعد في الأصل أراضي روسية سبق أن ضمتها بولندا إليها في أعقاب الحرب السوفيتية البولندية أعوام 1919 –1921 والتي يشكل الأوكرانيون والبيلوروس غالبية سكانها.

(54) كان الجانب السوفيتي ينفى سابقاً وجود بروتوكولات سرية ملحقة بمعاهدة مولوتوف – ريبنتروب.. لكن ظهرت في الغرب عام 1948 نسخ مصورة لهذه الوثائق لم يتم نشرها في الاتحاد السوفيتي فيما بعد إلا في عام 1989 فقط. وأعادت روسيا نشر تلك البروتوكولات في عام 1992.

2 – دوافع غير اقتصادية:

هناك مؤرخون آخرون يعتقدون أن هناك أسباب غير اقتصادية أدت بهتلر إلى أن يتعجل دخول الحرب أهمها الخوف المرضي الذي كان يستحوذ عليه من فكرة دنو أجله.

وبالتالي الشعور بعدم وجود الكثير من الوقت أمامه لتنفيذ طموحاته.

أيام السلام الأخيرة

وفي آخر أيام السلام.. كان هتلر يتأرجح بين التصميم على محاربة القوى الغربية إذا اضطرته الظروف.. وبين العديد من المخططات التي كانت تهدف لإبعاد بريطانيا عن دائرة الحرب.. ولكن.. على أي حال ما كان هتلر ليتراجع عن هدفه بغزو بولندا.

وكانت الأسباب التي نجحت في إقناع هتلر بإرجاء الهجوم المقرر على بولندا لفترة قصيرة من تاريخ الخامس والعشرين من أغسطس وحتى الأول من سبتمبر هي تلك الأخبار التي وردت إليه بتوقيع تحالف إنجليزي بولندي نفس اليوم في الخامس والعشرين من أغسطس رداً على معاهدة عدم الاعتداءات الألمانية الروسية .. بالإضافة إلى الأخبار التي وردت إليه من إيطاليا بأن موسوليني لن يلتزم بالميثاق المعروف باسم ميثاق الصداقة والتحالف بين ألمانيا وإيطاليا.

واختار هتلر أن يقضي أيام السلام الأخيرة إما في مراوغة البريطانيين ومحاولة تحييدهم عن طريق «ضمان الحماية وعدم الاعتداء» الذي تقدم به في نفس الموعد إلى الإمبراطورية البريطانية.

أو في إرسال ريبنتروب إلى هندرسون بخطة للسلام في اللحظات الأخيرة قبل نشوب الحرب بشرط زمني يستحيل قبوله حتى يتمكن من إلقاء اللوم على البريطانيين والبولنديين للتسبب في نشوب الحرب.

وفي الأول من سبتمبر من عام 1939.. قامت ألمانيا باجتياح غرب بولندا. وأعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا بعدها بعدة أيام .. وتحديدًا في الثالث من سبتمبر.. ولكن لم تتخذا إجراءات فورية لتفعيل هذا الإعلان. وكان أكثر ما أثار استياء ودهشة هتلر هو تلقيه إعلان الحرب البريطاني في الثالث من سبتمبر من عام 1939.. فالتفت إلى ريبنتروب وسأله: «ماذا سنفعل الآن؟».. ولم يكن لدى ريبنتروب ما يقوله سوى أن السفير الفرنسي- روبرت كولوندر.. قد يقوم في وقت لاحق في هذا اليوم بتقديم الإعلان الفرنسي للحرب على ألمانيا.. ولم يمر وقت طويل حتى قامت القوات الروسية باجتياح شرق بولندا في السابع عشر من سبتمبر.

بعد سقوط بولندا:

وبعد سقوط بولندا.. كانت هناك فترة زمنية أطلق عليها الصحفيون مسمى «الحرب الزائفة».. وفي جزء يقع في الشمال الغربي لبولندا تم ضمه إلى ألمانيا.. أوكل هتلر إلى القائدين النازيين الإقليميين المسؤولين عن تلك المنطقة وهما: ألبرت فورستر وأرتر جرايسر- مهمة «مد سطوة اللغة والبشر- والحضارة الألمانية» إلى هذه المنطقة.. ووعدهما بأنهما «لن يكونا عرضة للمساءلة من أي إنسان أو جهة» عن الطريقة التي تتم بها عملية «فرض السطوة الألمانية».

وقد قام كل من فورستر وجرايسر بتفسير هذه الأوامر من منظوره الشخصي.. فقد اتبع فورستر سياسة بسيطة تتمثل في جعل البولنديين المحليين يقومون بالتوقيع على نماذج مطبوعة توضح أنهم من أصل ألماني دون الحاجة إلى تقديم وثائق تثبت ذلك.

وفي نفس الوقت قام جرايسر بحملة تطهير عرقي وحشية.. فقد قام بطرد كل السكان البولنديين المحليين إلى المنطقة الواقعة تحت الاحتلال العسكري الألماني في بولندا.

عندئذ.. اشتكى جرايسر إلى هتلر – وتلاه هيملر في شكواه – من أن فورستر يقبل آلاف البولنديين كمواطنين ألمان.. الأمر الذي يعني تلويث «النقاء العرقي» الألماني.

وطلب الاثنان من هتلر أن يأمر فورستر بالتوقف عما يفعله.. فما كان من هتلر إلا أن رد عليهما بأن عليهما أن يقوما بتسوية خلافاتهما مع فورستر وألا يقحماه في الموضوع.

وتعتبر الطريقة التي تعامل بها هتلر مع المشكلة التي نشبت بين فورستر وجرايسر نموذجاً يبرهن على نظرية إيان كيرشو التي وردت في كتاب : «Working Towards the Führer» وهي أن هتلر كان يصدر أوامر غامضة ويسمح لمعاونيه أن يعملوا وفق سياسات خاصة بهم وحدهم.

وبعد غزو بولندا.. نشب خلافٌ كبير آخر بين قوتين مختلفتين.. تركزت الأولى حول اثنين من ضباط وحدات النخبة النازية اللذين كانا يحملان رتبةSS Reichsfüherer وهما هاينريش هيملر وآرتر جرايسر.. وكانا يناصران وينفذان خططاً للتطهير العرقي في بولندا.

بينما تركزت الثانية حول هيرمان جورينج وهانز فرانك وطالبت بتحويل بولندا إلى «مخزن غلال» الرايخ.. وتم تسوية هذا الخلاف في مؤتمر تم عقده في الثاني عشر من فبراير من عام 1940 في ضيعة كارينهول المملوكة لجورينج.. وتم حسم الخلاف لصالح وجهة نظر جورينج وفرانك القائمة على الاستغلال الاقتصادي لبولندا.. ووضع حدًا لعملية الترحيل الجماعي التي تتم للسكان البولنديين نظراً لأنها تعوق النمو الاقتصادي الألماني.

علاوةً على ذلك.. وفي الخامس عشر من مايو من عام 1940 قام هيملر بعرض مذكرة على هتلر بعنوان« أفكار للتعامل مع السكان الغرباء في الشرق.. وكانت هذه المذكرة تطالب بطرد كل السكان اليهود من أوروبا إلى أفريقيا.. وتحويل ما تبقى من السكان البولنديين إلى «طبقة عاملة بلا قائد».

وقد علق هتلر عن المذكرة بأنها «جيدة وصائبة» وأدى ذلك إلى الإسراع في تنفيذ خطوات ما أُطلِقَ عليه اتفاقية كارينهول.. كما أدى إلى انتصار وجهة النظر التي تبناها هاينريش هيملر وجرايسر في التعامل مع بولندا.

واستمرت بريطانيا – التي كانت قواتها قد قامت بمغادرة فرنسا عن طريق البحر من ميناء دونكيرك في القتال جنباً إلى جنب مع المناطق الأخرى الخاضعة لها في معركة الأطلسي.

وبعد رفض البريطانيين – الذين أصبحوا الآن تحت قيادة وينستون تشرشل – عروض السلام التي قدمها هتلر.. أمر هتلر بشن غارات قصف على المملكة المتحدة.

وكانت معركة بريطانيا هي المقدمة التي تسبق الغزو الذي خطط له هتلر.. وبدأت الهجمات بالضرب العنيف للقواعد الجوية ومحطات الرادار التي تحمي شمال شرق بريطانيا والتابعة للقوات الجوية الملكية البريطانية.

وبالرغم من ذلك.. فشلت القوات الجوية الألمانية في هزيمة القوات الجوية الملكية البريطانية.

المعاهدة ثلاثية:

وفي السابع والعشرين من سبتمبر في عام 1940 وقع هتلر معاهدة ثلاثية الأطراف في برلين مع كل من: سابيرو كوروسو من الإمبراطورية اليابانية .. وهتلر.. وتشانو. وكان الغرض من توقيع هذه المعاهدة ثلاثية الأطراف – والتي كانت موجهة ضد قوة لم يتم التصريح عنها على الرغم من أنه كان واضحاً إنها الولايات المتحدة – هو ردع للولايات المتحدة الأمريكية عن دعم البريطانيين.

وبعد ذلك توسعت المعاهدة لينضم إليها كل من: المجر ورومانيا وبلغاريا. وعرفت الدول الموقعة على هذه المعاهدة إجمالاً باسم تحالف دول المحور.

وبنهاية شهر أكتوبر من عام 1940 لم تكن السيادة الجوية الألمانية بعد عملية أسد البحر [55] قد تأكدت. وأمر هتلر بالقصف – الذي كان يتم في الليل في معظم الأحيان – للمدن البريطانية.. وشملت هذه المدن: لندن وبليموث وكوفينتري.

(55) عملية أسد البحر Operation Sealion هو الاسم الذى أُطلِقَ على الخطة الألمانية لغزو المملكة المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية.

الطريق إلى الهزيمة:

الثكنات العسكرية التي تم تدميرها والموجودة في مقر قيادة هتلر المعروف باسم «Wolfs Lair وكر الذئب» بعد مؤامرة 20 يوليو من عام 1944 التي استهدفت اغتيال هتلر

عملية بارباروسا [56]

في الثاني والعشرين من شهر يونيو في عام 1941 قام ثلاثة ملايين جندي من القوات الألمانية بمهاجمة الاتحاد السوفيتي ضاربين بمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها هتلر مع ستالين قبلها بعامين فقط عرض الحائط.

وتعتبر الأسباب التي دعت هتلر إلى غزو الاتحاد السوفيتي من الموضوعات التي ثار بشأنها جدلاً تاريخياً كبيراً.. وقد تم إطلاق اسم رمزي على هذا الغزو وهو عملية بارباروسا.

ولم تكن هذه العملية إلا «خطوة مرحلية» ضمن خطة هتلر التي أطلق عليها اسم «خطة الخطوات المرحلية» والتي كانت تستهدف إخضاع العالم [57].

السبب الذي صرح به هتلر في حديث خاص – وأشرنا إليه سابقاً – لغزو الإتحاد السوفيتي كان بالتحديد أن وينستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني قد علق الأمل على اشتراك الاتحاد السوفيتي في الحرب إلى جانب قوات الحلفاء.. ومن ثم وجد هتلر أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يجبر بريطانيا بها على الاستسلام هي القضاء على هذا الأمل.

(56) عملية بارباروسا : هو اسم الشفرة لعملية القوات النازية الألمانية ومعها قوات المحور لغزو الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية.. بدأت بتاريخ 22 يونيو 1941.. وتعتبر أضخم عملية عسكرية بالتاريخ حيث اشترك بها 5.5 مليون عسكري من قوات المحور التي غزت الاتحاد السوفييتي من خلال جبهة طولها 1800 ميل.. وقد سميت نسبة لفريدريك الأول بربروسا إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة.. وأحد قادة الحروب الصليبية بالقرن الـ12 وتلك العملية كانت الجزء الأكبر من معارك الجبهة الشرقية.. بدأت هذه المعركة كالتالي دبابات وطائرات والمشاة تقدموا فانهارت الجبهة. والجيش الأحمر خسر حوالي 4 مليون جندي وحوالي 18000 دبابة وآلاف الطائرات.

(57) يعتقد هيلجروبر أن هتلر قد وضع هذه الخطة في سنوات العشرينات من القرن العشرين. وعلى صعيد آخر.. يرى مؤرخون آخرون مثل: جون لوكاكس أن هتلر لم يكن لديه أبداً خطة مرحلية= =لإخضاع العالم.. وأن غزو الاتحاد السوفيتي كان خطوة «قام بها هتلر لغرض معين» بعد أن رفضت بريطانيا الاستسلام.

وكان ذلك هو السبب الحقيقي الذي دفع هتلر إلى تنفيذ هذه العملية.. إذن فإن عملية غزو الاتحاد السوفيتي كانت من هذا المنطلق خطوة قام بها هتلر أساساً ضد بريطانيا لإجبارها على أن تسعى للسلام معه عن طريق تدمير أملها الوحيد في النصر.. فلم تكن هذه الخطوة - في حقيقة الأمر - ضد الاتحاد السوفيتي مباشرةً.

ويعتقد كثير من المؤرخين أن كل من ستالين وهتلر كان يخطط منفرداً للهجوم على الآخر في عام 1941 .

كما أن الأخبار التي انتشرت في ربيع عام 1941 عن احتشاد القوات السوفيتية على الحدود أدت إلى اشتراك هتلر في خطة الفرار إلى الأمام[58].

وتوجد طائفة أخرى من المؤرخين تعتقد أن السبب الرسمي الذي صرح به الألمان لقيامهم بعملية غزو الإتحاد السوفيتي في عام 1941 هو السبب الفعلي وراء هذه العملية.

وبهذا تكون هذه العملية بمثابة «حرب وقائية» وجد هتلر نفسه مجبراً على الدخول فيها لتفادي هجوم سوفيتي كان سيعوقه عن تحقيق أحلامه.. ذلك الهجوم الذي كان مقرراً له أن يتم في يوليو من عام 1941.

وتعرضت هذه النظرية لهجوم كبير وتم وصفها بأنها كانت خاطئة.. ووصفها البعض منهم بأنها «حكايات خرافية».

واستولت القوات الألمانية في غزوها على أجزاء كبيرة من الأراضي التي شملت.. دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا.. وكذلك حاصرت الكثير من القوات السوفيتية ودمرتها.. وهي القوات التي أصدر ستالين أوامره إليها بعدم الانسحاب.

وبالرغم من ذلك وجدت القوات الألمانية نفسها مجبرة على التوقف قبيل تمكنها من دخول موسكو مباشرةً في ديسمبر من عام 1941 بسبب الشتاء الروسي القارس والمقاومة السوفيتية العنيفة.

(58) المقصود: مجابهة الخطر عن طريق الهجوم بدلاً من الانسحاب..

وفشل الغرو في تحقيق النصر السريع الذي كان هتلر يريده.

وفي الثامن عشر من شهر ديسمبر من عام 1941 سجل هاينريش هيلمر الذي كان يحمل رتبة Reichsführer–SS في وحدات النخبة النازية في الدفتر الذي كان يدون فيه تفاصيل المقابلات التي يقوم بها سؤالًا قام بتوجهه إلى هتلر.. «ماذا سنفعل مع يهود روسيا؟» .

وكانت إجابة هتلر على السؤال:

«قم بإبادتهم على أنهم أعضاء القوات غير النظامية التي تزعج القوات الألمانية المحتلة بشن الغارات المتكررة عليها».

وفيما بعد علق المؤرخ الإسرائيلي يهودا باوير على هذا الموضوع بأنه يمكن اعتبار الملحوظة التي سجلها هيلمر في دفترة هي أقوى الدلائل التي يمكن العثور عليها لإثبات الأمر الصريح الصادر من هتلر بإنشاء الهولوكست.

وفي العشرين من مارس في عام 1945 (59) قام هتلر بمنح وسام الصليب الحديدي لأعضاء المنظمة شبه العسكرية «شباب هتلر» خارج قبوه.

وقد وضع إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة في الحادي عشر من ديسمبر في عام 1941 بعد أربعة أيام من قيام الإمبراطورية اليابانية بالهجوم على ميناء بيرل هاربور (60) في هاواي.

وبعد ستة أيام من اقتراب القوات النازية الألمانية من موسكو في مواجهة ائتلاف ضم أكبر إمبراطورية في العالم ممثلة في الإمبراطورية البريطانية.. وأكبر قوة صناعية ومالية في العالم ممثلة في الولايات المتحدة.. وأكبر جيش في العالم ممثلاً في الاتحاد السوفيتي.

وفي أواخر عام 1942 لحقت الهزيمة بالقوات الألمانية في معركة العلمين الثانية.. الأمر الذي وضع حداً لمحاولة هتلر الاستيلاء على قناة السويس والشرق الأوسط.

(59) هو التاريخ الذي عادةً ما يشار إليه على سبيل الخطأ بالعشرين من شهر أبريل.

(60) هو أهم أحداث الحرب العالمية الثانية على الإطلاق .. العملية كما كان يسميها مقر الإمبراطورية العامة اليابانية) وهي غارة جوية نفذتها البحرية الإمبراطورية اليابانية بصورة مباغتة في 7 ديسمبر 1941 على الأسطول الأمريكي للمحيط الهادي في قاعدته البحرية في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي.. غير الحدث مجرى التاريخ وأرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية.. وكانت تلك الضربة بمثابة إجراء وقائي لكي يصبح الأسطول الأمريكي قي المحيط الهادي بعيداً عن الحرب التي كانت تخطط اليابان لشنِّها في جنوب شرق آسيا ضد بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة.. تمحور الهجوم الياباني على غارة جوية شنت على موجتين جويتين بمجموع 353 طائرة حربية يابانية انطلقت من ستة حاملات يابانية للطائرات إضافة إلى عدة غواصات قزمية لضرب الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر بالإضافة إلى الطائرات الحربية الأمريكية الرابضة على الأرض.. ونتج عن الهجوم إغراق أربعة بوارج حربية من البحرية الأمريكية.. كما دمَّر أربعة بارجات أخرى. وأغرق اليابانيون أيضاً ثلاثة طراريد.. وثلاثة مدمِّرات.. وزارعة ألغام واحدة.. بالإضافة إلى تدمير 188 طائرة. لم تُصب الهجمات أياً من محطة توليد الطاقة.. وحوض بناء السفن.. ومركز الصيانة.. ومحطة الوقود.. ومخازن الطوربيد.. فضلاً عن أرصفة الغواصات.. ومقر البحرية الأمريكية ومقر قسم الاستخبارات. بينما كانت الخسائر اليابانية ضئيلة.. فقد دُمِّرت 29 طائرة وأربع غواصات قزمة.. وقُتل أو أُصيب 65 جندي فقط.. وكان الهجوم بمثابة مشاركة أمريكا رسميًا في الحرب العالمية الثانية. وكانت طبيعة الهجمة الفجائية سبباً في تغيير الرأي العام الأميركي من الموقف الانعزالي إلى دعم المشاركة المباشرة في الحرب. وساعد إعلان ألمانيا الفوري للحرب على الولايات المتحدة على الرغم من عدم التزامها بأي معاهدة مع اليابان في ظهور الولايات المتحدة على خشبة المسرح الأوروبي لأحداث الحرب العالمية الثانية.

معركة ستالينجراد:

وقعت معركة ستالينجراد بين 21 أغسطس 1942 و2 فبراير 1943 بين ألمانيا النازية وحلفائها.. والاتحاد السوفييتي.. وحدثت في مدينة ستالينجراد [61] وتعتبر نقطة تحول من الحرب العالمية الثانية على الساحة الأوروبية ويمكن القول أنها المعركة الأكثر دموية في التاريخ البشري نتيجة لعدد القتلى الكبير الذي فاق 1.5 مليون قتيل.

*** يمكن تلخيص المعركة في ثلاثة فصول وهي :**

- الحصار الألماني لستالينجراد.
- المعركة داخل المدينة.
- الهجوم السوفييتي المضاد وتدمير قوات المحور.

وكان سير المعركة على النحو التالي :

الهجوم الألماني:

بعد أن طرد الألمان القسم الأكبر من القوات الروسية المدافعة عن ستالينجراد توغلوا في المدينة نفسها يوم 12 سبتمبر 1942 فوجدوا أنفسهم يخوضون قتالاً مريراً من شارع إلى شارع.. ومن بيت إلى آخر.

وتحمل المشاة الألمان بطبيعة الحال وطأة ذلك القتال المرير متكبدين خسائر فادحة.

وفي يوم 13 سبتمبر 1942 وصلت قوات الجيش المدرع الرابع الألماني مع بعض التشكيلات الرومانية إلى ضفة نهر الفولجا جنوب المدينة إلا أنها لم تستطع رغم الهجمات المتعاقبة التي شنتها الوصول إلى المنطقة الصناعية الكائنة شمال المدينة بسبب كثرة القوات وشدة مقاومة السوفييت.

---

(61) تعرف اليوم مدينة ستالينجراد باسم فولجوجراد.. وتمتد بمحاذاة الضفة اليمنى لنهر الفولجا ويبلغ طولها 30 كم ولها أهمية صناعية خاصة وتعتبر المنطقة من الأراضي المنبسطة التي تكثر فيها المستنقعات والأوحال وهي امتداد للسهل الأوروبي وهي من أغنى مناطق الاتحاد السوفيتي من حيث الثروات.

المقاومة الروسية المقابلة :

دافعت عن المدينة في أول الأمر الجبهة الجنوبية الغربية وقررت القيادة السوفيتية العليا تدمير الجناح الجنوبي للقوات الألمانية بالقضاء على الجيشين 6 والمدرع 4.. وكلف المشير جوكوف والفريقان فاسيليفسي- وفورونوف بمهمة تنسيق تحركات الجبهات الثلاث المذكورة.. ونقل إلى منطقة ستالينجراد أكبر حشد من احتياطات القوات المسلحة السوفيتية بصورة مكتومة لتحقيق النصر- الساحق معاً وقد جرى توقيت الهجوم باعتناء بحيث يتوائم مع إنزال الحلفاء الغربيين في المغرب والجزائر.

وفي الساعة 7.30 من يوم 19 أكتوبر فتح 7000 مدفع روسي نيرانهم على القوات الألمانية في منطقة ستالينجراد تمهيداً للهجوم الروسي المضاد.. وتوخت قطعات الموجة الروسية الأولى المهاجمة قاطع الجيش الثالث الروماني وأحدثت خرقين واسعين في جبهتي فيلقيه الثاني والرابع عند رأسي الجسرين في كليتسايا وبولشوي على نهر الدون.

وعندئذ تجمعت تشكيلات الفرقتين الخامسة والسادسة وأجزاء من الفرقتين الثالثة عشر- والرابعة عشر الرومانية تحت قيادة الفريق لاسكار وأخذت تقاوم الهجمات الروسية من موضع يمكنها من الدفاع عنه من جميع الجهات.. فزجت مجموعة الجيوش الألمانية احتياطها المؤلف من الفيلق المدرع 48 بقيادة الفريق هايم لإزالة الخرق الروسي إلا أن الفيلق المذكور لم يتمكن من إحباط الهجمات الروسية لعدم كفاية قواته الضعيفة إزاء الهجمات الشديدة المتعاقبة.

في 20 أكتوبر 1942 شرع الروس بالموجة الثانية من الهجوم المضاد الواسع فشن الجيش 51 هجوماً عنيفاً على مواضع الفيلق السادس الروماني (ضمن قطاع الجيش المدرع الرابع الألماني) وتمكن من خرق جبهة خلال ثلاث ساعات فقط.. كما هاجم الروس الفرقة 20 الرومانية (ضمن قطاع الفيلق الرابع الألماني) فإنهزم الجيش الروماني مما تسبب في خرق مواضع الجيش المدرع الرابع إلى قاطعين منفصلين.

وأدى هذا الخرق إلى انهيار دفاعات الفيلق السادس الروماني فأدى ذلك إلى انفساح المجال لاندفاع القوات الروسية وراء الجيش السادس الألماني من جهة الجنوب.

في 22 أكتوبر 1942 استولى الفيلقان المدرعان الرابع والسادس والعشرين الروسيان من الجبهة الجنوبية الغربية في صولة سريعة على جسر الدون قرب كالاتش وفي عصر يوم 23 أكتوبر 1942 التقت مقدمتها الأمامية القادمة من الشمال الغربي بالفليق المدرع الرابع الروسي من تشكيلات جبهة ستالينجراد والقادم من الجنوبي الشرقي عند سوفيتسكي فحقق الروس بذلك الاتصال تطويق الجيش السادس الألماني.

أدركت قيادة مجموعة الجيوش (B) الألمانية بأن تطويق الجيش السادس وخرق مواضيع الجيشين الرومانيين يتطلب منهما جبهة جديدة إلى الغرب وكذلك تغيير عناصر قيادة التشكيلات الرومانية فتم نقل العقيد الركن الألماني فينك من منصب رئيس أركان الفيلق المدرع 57 إلى منصب رئيس أركان الفيلق الثالث الروماني وصدرت الأوامر للجيش الثالث الروماني بمنعه من القيام بأية حركة انسحاب.

واستقر الموقف نسبياً في صفوف مجموعة الجيوش الألمانية بعد أن ركزت التشكيلات الروسية ضغطها الشديد على تشكيلات الجيش السادس الألماني التي تم تطويقها في ستالينجراد.

وكان الجيش السادس الألماني قد تعرض لخسائر فادحة من جراء معارك الاشتباك القريب التي دارت في الضواحي الشمالية لمدينة ستالينجراد مما أثر على معنويات رجاله..

أضف إلى ذلك أن شتاء 1942ـ 1943 كان شديد البرودة وقد صادف التعرض الروسي الكبير هطول أمطار غزيرة جعلت التنقل على الطرق الموحلة متعذراً.

عندها أصدر هتلر أوامر مشددة للجيش السادس بوجوب الصمود حتى آخر طلقة وأخر جندي.. وأمر بتشكيل مجموعة جيوش الدون في 27 أكتوبر 1942 من الجيش السادس المحاصر والجيش المدرع الرابع وبقايا الجيشين الرومانيين الثالث والرابع وجعلها تحت قيادة المشير أريش فون مانشتاين الذي استقدم مع جيشه (الجيش الحادي عشر) من جبهة لينينجراد على عجل حيث أبدلت تسمية ذلك المقر إلى (مقر مجموعة جيوش الدون) التي كلفت بمهمة التعرض لكسر التطويق ولكن دون إخلاء ستالينجراد .. فأقام فون مانشتاين جبهة جديدة امتدت من شمال إيلستا إلى شمال كوتلنيكوفو.

حصار الجيش السادس:

حرصت القيادة السوفيتية في أول الأمر على منع عمليات كسر التطويق الألمانية سواء من ستالينجراد بخروج الجيش السادس أو الاندفاع من خارجها بتشكيلات الجيش المدرع الرابع وكلفت بهذه المهمة جيش الحرس الثاني بقيادة الفريق الأول مالينوفسكي والجيش 51 بقيادة الفريق الأول تروفانون.

عرض باولوس حالة جيشه المنهك الذي تكبد خسائر فادحة على القيادة الألمانية مؤملا موافقة هتلر على سحب الجيش السادس من ستالينجراد ببرقية أرسلها ليلة 23/ 24 أكتوبر 1942 يطلب فيها السماح له بكسر التطويق والقيام بعملية خروج قبل فوات الأوان لا سيما وأن عملية التطويق تضطره بطبيعة الحال إلى الدفاع من جميع الجهات أي مضاعفة طول جبهة الجيش.. كما أن الجيش تكبد في الأيام الأخيرة خسائر فادحة في الأفراد لدرجة أصبحت معها تشكيلاته ضعيفة القوة.. وقد أيده في طلبه رئيس أركان القوات البرية الفريق كورت زايتسلر خلال عرض الموقف اليومي.

الجنود الألمان أثناء المعركة

تفهم هتلر موقف الجيش في أول الأمر وأبدى ميلاً لقبول وجهة نظر الفريق زايتسلر فسأل عن مدى إمكانية تموين الجيش السادس المحاصر عن طريق الجو فأبدى قائد القوات الجوية المشير هيرمان جورينج استعداده لتموين تشكيلات الجيش السادس جواً.. فكانت إجابته هذه وبالاً على الجيش السادس المحاصر.. ذلك لأن متطلبات التمويل اليومي تبلغ 750 طناً وقد تعهدت القوة الجوية الألمانية بنقل نصف هذه الكمية ثم رفع قائدها المقدار المذكور إلى 500 طن في اليوم خلال مناقشات صباح 24 أكتوبر 1942 وعندئذ أصدر هتلر قراره بوجوب صمود الجيش السادس في ستالينجراد رغم تحذيرات الفريق زايتسلر الذي اختتم مناقشاته لهتلر بقوله :

« إنك تريد الاحتفاظ بستالينجراد ياسيدي ولكنك ستفقد ستالينجراد والجيش السادس معاً ».

أعاد الفريق الأول باولوس ترتيب تشكيلاته ضمن المنطقة المطوقة التي بلغ طولها من الشرق إلى الغرب 40 كم ومن الشمال إلى الجنوب 20 كم وكانت هذه منطقة كافية لإدارة معارك الدفاع السيار بمرونة كما كان مطار بيتومنك الكائن في وسط المنطقة محمياً من تأثيرات النيران المصوبة.

قتال الشوارع

في خلال هذه الفترة كانت هناك قوة مختلطة قوامها 4 آلاف ألماني و12 ألف إيطالي تطوق شمال ميليروفو فاستطاعت الخروج عنوة في إحدى الليالي وقد اعتمدت على إسناد بضعة مدافع صولة ثم تنقلت بمسيرة على الجليد لمسافة 20 كم حتى وصلت إلى الخطوط الألمانية ولم تفقد من وجودها سوى أقل من 10٪.

وشن الروس بتشكيلات الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة فورونيش الموجة الثانية من هجومهم الواسع على جبهة الجيش الثامن الإيطالي المؤلف من 7 فرق إيطالية وفرقة ألمانية واحدة في قاطع الدون الأوسط وبعد يومين حقق الروس انتصارا كبيراً.

ووسع الروس ثغرات الخرق التي أحدثوها في جبهة الجيش الثامن الإيطالي حتى جعلوها خرقاً واسعاً واحداً بلغ اتساعه 100 كم وكان هذا كارثة أحاطت بمجموعة جيوش الدون الألمانية التي تعرضت هي الأخرى لهجمات عنيفة لإبعاد تشكيلات المحور عن ستالينجراد تمهيداً لإبادة الجيش السادس وتحقيق هدف آخر هو القضاء على الجناح الجنوبي للتشكيلات الألمانية برمته بالوصول إلى روستوف وعزل القوات الألمانية الباقية في القوقاز.

في ليلة عيد الميلاد 24/ 25 ديسمبر 1942 واليومين الذين أعقباها شددت تشكيلات جبهة ستالينجراد السوفيتية هجماتها بقوات متفوقة عددياً على الجيش المدرع الرابع الألماني والجيش الرابع الروماني.

وفي 29 ديسمبر 1942 احتل الفيلق المدرع السابع الروسي مدينة كوتلنيكوفو وعندئذ اضطر المشير فون مانشتاين على إيقاف الهجوم الذي شرع به الجيش المدرع الرابع بقصد الوصول إلى ستالينجراد.. وتحقيق الاتصال مع الجيش السادس لكي يرأب التصدع الذي طرا على جبهة مجموعة الجيوش وبقي الجيش المدرع الرابع يقاتل ثلاثة فيالق آلية روسية في القاطع الجنوبي.. بينما كان جيش هوليدت من مجموعة الجيوش ب يقاتل ثلاثة جيوش في قاطع تسيميليا.

استسلام الجيش السادس

أصبح موقف الجيش السادس ميؤوساً منه في ستالينجراد بعد النجاح الذي حققه الجيش الروسي في إبعاد الجبهة الجديدة عنه إلى هذه المسافة وتكثيف الاحتياطات لتشديد الضغط عليه بصورة منظمة وقد أيقنت القيادة العليا الألمانية بأن الجيش السادس لم يعد بمقدوره القيام بعملية خروج.. وتصورت أن بإمكانها إنقاذ الجيش بهجوم جديد تقوم به في ربيع 1943 لكنها لم تتمكن من إدامته في ذلك الطقس الشديد البرودة.. وكذلك لقلة العتاد الذي بقيت لديه منه مقادير ضئيلة.. وكان بإمكان الطائرات القيام بثلاث رحلات يومياً إلى منطقة الحصار ولكن ابتعاد الجبهة الألمانية عن ستالينجراد جعل تنقلها محدوداً بعد أن ضاعف الروس الدفاعات ضد الجو لمقاومة طائرات النقل ففقد الألمان في شهر ديسمبر 1942 وحده 246 طائرة خلال عملية نقل المعدات إلى ستالينجراد.

وفي 8 يناير 1943 عرض المشير السوفيتي روكو سوفسكي على الفريق الأول باولوس الاستلام إلا أن القائد الألماني رفض الطلب وواصل القتال .

وفي 9 يناير 1943 تلقى باولوس نداء من برلين بترقيته إلى رتبة مشير وما لبث أن وصلته شارات الرتبة وعصا المشير التقليدية.

وشرع الروس بهجومهم النهائي لتحطيم الجيش السادس في ستالينجراد يوم 10 يناير 1943 بعد أن أحاطت بالمدينة سبعة جيوش سوفيتية من الجبهات الثلاثة (جبهة ستالينجراد وجبهة الدون والجبهة الجنوبية الغربية)

وفي 14 يناير 1943 استولى الجيش 21 على مطار بيتومنكوهو أهم قاعدة جوية لتموين الجيش السادس عن طريقها وفي 22 يناير 1943 فقد الالمان مطار جومراك أيضاً.. وبذلك انقطع الاتصال الجوي مع ألمانيا تماماً.

وحملت آخر طائرة غادرت إلى برلين خطابات وداع من الجنود الألمان لعائلاتهم.

وفي 25 يناير 1943 استطاع الروس خرق دفاعات الجيش السادس في ستالينجراد.. وعزلوا الفيلق 11 في الشمال عن التشكيلات المحاصرة الأخرى.

وفي 31 يناير 1943 استسلم القسم الأكبر من الجيش السادس للسوفيت ووقع المشير باولوس وثيقة استسلام جيشه للمشير السوفيتي روكوسوفسكي لكن الفيلق الحادي عشر- بقي يقاتل بقيادة الفريق شتريكر في أطلال الأحياء الشمالية من المدينة لتوفر مقادير ضئيلة من الموؤن ولما نفذت استسلم هو الآخر عصر يوم 2 فبراير 1943.

دور القناصين في معركة ستالينجراد:

لعب القناصة (الروس) دورًا حيويًا في هذه المعركة.. حيث أن طبيعة المدينة المتهدمة ووجود أماكن كثيرة تصلح للاختباء أهلت لوجود العديد من القناصة الروس الذين استغلوا معرفتهم بطبيعة المدينة وأهم مبانيها وعملوا على تكبيد الجيش الألماني أكبر عدد من الخسائر في الأفراد من خلال قنص الجنود الألمان.

واشتهر بشدة القناص السوفيتي فاسيلي زايتسيف والذي تحول إلى أسطورة نتيجة العدد الضخم من الجنود الألمان الذين استطاع قنصهم خلال معركة ستالينجراد.. وتحول من مجرد قناص عادى إلى أسطورة ورمز لنضال الجنود السوفييت من أجل تحرير ستالينجراد.. وقد قلده ستالين أعلى وسام عسكري.

كما أن سلاحه لايزال في متحف ستالينجراد الحربى كتكريم دائم له.. وتحولت قصة حياته إلى فيلم هوليودى ضخم بعنوان العدو على الأبواب والمستوحى من قصة حياته والتي كتبها بنفسه.. وحصل على لقب بطل الاتحاد السوفيتي.

وفي فبراير من عام 1943 انتهت معركة ستالينجراد الهائلة بتدمير الجيش السادس الألماني.. بعدها وقعت معركة كورسك الهائلة.

أكبر معركة دبابات في التاريخ

وقعت هذه المعركة في الخامس من يوليو 1943 من نفس العام بين القوتين الألمانية والسوفييتية.. وتعتبر هذه المعركة آخر محاولات الهجوم المعاكس[62] الألماني على الجبهة الشرقية بعد الانتصار الحاسم الذي أحرزه السوفييت في معركة ستالينجراد.. وتعتبر هذه المعركة أكبر معركة دبابات شهدها التاريخ فقد استخدم خلالها الألمان 50 ٪ من كل أسطول الدبابات الذي في حوزتهم.

(62) أطلق الجيش الألماني على الهجوم المعاكس اسم كودي هو عملية القلعة (Unternehmen Zitadelle).

الأوضاع قبل المعركة:

تميزت الأوضاع السابقة للمعركة بالانتقال من مرحلة التفوق الألماني الواضح قبل معركة ستالينجراد إلى مرحلة التوازن والتكافؤ في القوى بين الطرفين.. خاصة بعد أن وظّف الألمان كل طاقاتهم لإعادة بناء القوات التي انهارت في ستالينجراد.

تميزت مرحلة ما قبل المعركة بتوالي النجاحات الجزئية الألمانية عبر هجوماتها الجوية الخاطفة وبعمل الروس على مواصلة بناء ترسانتهم الحربية – التي ما انفكّت في تزايد متواصل حتى نهاية الحرب– وبناء التحصينات على خط الجبهة لصد الهجوم المعاكس الألماني المحتمل.. فقد قام الروس بزرع 400 ألف لغم أرضي وحفر 5000 كم من الخنادق.. كما ركزوا على تزويد قواتهم بالصواريخ المضادة للدبابات.. وقد نجح السوفييت في تحقيق التفوق العددي في الجنود والدبابات والطائرات والمدافع.

عملية القلعة:

بدأت المناوشات الأولية في 4 يوليو بالهجوم الألماني على الدفاعات الأمامية الروسية وأبراج المراقبة الموزعة على التلال القريبة.. وقد تزامن ذلك مع قصف عنيف من قبل المدفعية والطيران الألماني للتحصينات السوفياتية ومحاولات التقدم على النطاقين الشمالي والجنوبي.

وعند الساعة 22:30 انطلقت المدفعية السوفياتية في قصف شامل للقوات الألمانية وذلك لإحداث الفوضى في صفوفها وتعطيل هجومها.. الأمر الذي أبدى نجاح خاص بالمنطقة الشمالية إذ أن نصف مدفعياتها قد أصيب.. إلا أن هذا بدأ يتراجع في اليوم التالي لأن القسم الأكبر من التواجد العسكري الألماني لم يبدأ بعد في التقدم لحد تلك اللحضة.

أما المعركة الفعلية فقد اتّضحت بعد أن بلغ الاشتباك ذروته بين سلاحي الجو الألماني والسوفياتي وذلك بحثًا عن التفوق والسيطرة الجوية على سماء الجبهة.. الأمر الذي فشل في تحقيقه كلا الطرفان كلاهما رغم التفوق النسبي للألمان.

الفشل الألماني على النطاق الشمالي:

كان الفشل الألماني واضحاً وسريعاً على هذا النطاق إذ أن أي تقدم لم يحصل.. كما أن الألمان فشلوا في السيطرة على مدينة بونيري شمال كورسك.. وتعود أسباب هذا الفشل إلى كثافة الألغام الأرضية المزروعة من جهة.. وكثافة القصف المدفعي والقصف بالصواريخ المضادة للدبابات مما ألحق بها خسائر فادحة وهو ما استغله الروس لبناء هجوم معاكس ناجح انتهى بالوصول إلى مدينة أوريول في 12 يوليو ثم التحول من الهجوم إلى الدفاع وهو ما مكن السوفيات من الحفاظ على إنجازاتهم والسيطرة على مناطق تواجدهم.

النطاق الجنوبي:

كانت الأوضاع أفضل بالنسبة للألمان على هذه الجبهة نظراً لضعف الدفاعات السوفياتية بها وهو ما مكن الألمان من التقدم منذ 4 يوليو والسعي لاحتلال المدن المحيطة بمدينة كورسك.. إلا أن الألغام والأرضية المبللة قد عرقلت تقدم الدبابات الألمانية التي توقفت عن التقدم بسبب تدمير الروس للجسور الموجودة على الأنهار المجاورة.

وقد تواصل القتال على الجبهة الجنوبية بشكل عنيف جداً أنهك الطرفين وتسبب في خسائر كبيرة لكليهما إلا أن التفوق السوفياتي بدأ في البروز خصوصًا بعد النصر في معركة بروخوروفكا والهجوم المعاكس الذي مكّن الروس من استعادة مدينة بلجورود.. وبلوغ ضواحي مدينة خاركوف الأوكرانية في 11 أغسطس ثم السيطرة عليها يوم 23 بعد معارك رهيبة وخسائر جسيمة.

ويعتبر بعض المحللين أنّ الألمان قد أُجبروا على إنهاء القتال نظراً لاضطرارهم لنقل الإمدادات إلى إيطاليا التي تعرضت في نفس تلك الفترة للهجوم من قبل الحلفاء.. إلا أنّ هذا السبب ولئن كان واقعيًا فإنه ليس إلا سببًا ثانويًا للفشل.

ضربة قاضية:

مَثلَتْ المعركة نصرًا استراتيجيًا مكّن الروس من مواصلة الزحف نحو برلين وأخذ زمام المبادرة في المعارك اللاحقة.. وقد عمل الروس على توظيف هذا النصر في الدعاية ورفع معنويات جنودهم.. أما الألمان فقد تلقوا بهذه الهزيمة ضربة قاضية على الجبهة الشرقية خاصة وأنّ هذه المعركة التي استنزفت الترسانة العسكرية والأرواح البشرية الألمانية هي التي عوّل عليها هتلر لوقف الزحف السوفياتي خصوصًا بعد دخول دبابات تايجر الألمانية الجديدة الخدمة.

عملية القائد الأعلى

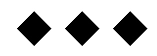
وفي نفس التوقيت تمت عملية إنزال جيوش الحلفاء الغربيون في شمالي فرنسا في واحدة من أكبر العمليات البرمائية التي حدثت في تاريخ العسكرية.. وهي العملية التي تعرف باسم عملية القائد الأعلى[63] وكان أصحاب الرؤية الواقعية في الجيش الألماني يعرفون أن الهزيمة حتمية.. وخطط البعض منهم لإقصاء هتلر عن السلطة.

محاولة اغتيال هتلر:

وفي يوليو من عام 1944 قام كلاوس فون شتاوفينبرج بزرع قنبلة في مركز قيادة الفوهرر هتلر المعروف باسم وكر الذئب (Wolfsschanze) في رستنبورج.

ولكن نجا هتلر من الموت بأعجوبة.. وأصدر أوامره بالقيام بعملية انتقام وحشية تم فيها تنفيذ حكم الإعدام في أكثر من أربعة آلاف وتسعمائة شخص.. الأمر الذي تم أحياناً عن طريق التجويع في الحبس الانفرادي الذي يعقبه التعرض البطيء للاختناق.

وتم القضاء على حركة المقاومة الرئيسية بالرغم من أن بعض المجموعات المتفرقة الأصغر حجماً استمرت في محاولاتها. .



(63) بالإنجليزية: Operation Overlord ..



Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الحادي عشر

هتلر ..

واليهود !!

◆◆◆

دار جدال تاريخي مهم حول خطاب هتلر المعروف باسم «خطاب النبوءة» فهناك مؤرخون يعتقدون أن هتلر كان يعي تماماً ما قاله في خطابه وأنه على الأقل منذ إلقاء الخطاب كان قد وضع نصب عينيه تنفيذ عمليات إبادة جماعية لليهود كهدف رئيسي يسعى لتنفيذه.

وهناك من فهم أن هذا الخطاب قد أفسح المجال أمام هتلر للتصريح بأنه بمجرد إعلانه للحرب العالمية.. فإنه سيستخدمها كستار لمخططاته الموجودة سابقاً لإبادة اليهود تماماً.

وأغفل هؤلاء.. وأولئك وجهة نظر خاصة تقول بأن أوامر الهولوكست قد صدرت من بعض مرؤوسي هتلر وإنه لم تكن لديه أبداً النية لعمل ذلك.

هذا التفسير زعماً منهم بأنه لو كان هتلر صادقاً في نواياه التي عبر عنها في خطابه ما كان أرجأ تنفيذ حكم الإعدام الذي نوى أن ينفذه ضد اليهود لمدة ثلاثين شهراً هي الفترة ما بين اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر من عام 1939 وافتتاح أول معسكر اعتقال لإبادة اليهود في أواخر عام 1941.

هذا ويرى البعض أن خطاب النبوءة كان مجرد محاولة للتظاهر بالشجاعة من جانب هتلر وأن هناك رابط ضعيف بين هذا الخطاب وبين الكشف الفعلي عن حقيقة السياسات المعادية للسامية التي كان يؤمن بها.

كما عرف عن هتلر قوله :

« اليهود أسياد الكلام وأسياد الكذب إن اليهود.. ذلك الجنس الغبي ليسوا سوى أعداء للجنس البشري.. وهم سبب كل ما ألم بنا من بلاء ومعاناة » . « لو تمكن اليهود من حُكم العالم سينتج من ذلك خراب الدنيا.. لذلك أخذت عهداً من الله العلّي أن أهب نفسي جهاداً ضدهم.. وقتالاً من أجل الله ضدهم ».

لكن الحقيقة الأكثر رسوخاً تاريخياً تقول أن هتلر كانت لديه النية المبيتة منذ توليه الحكم لإبادة اليهود.

إذ أنه من المؤكد أن أهم منعطفات مسيرة هتلر السياسية.. والحياتية هو بلا شك معاداته لليهود.. فهو يرى ويردد دائماً أنهم أشد أعداء الجنس الآري (64) وألقى عليهم مسؤولية الأزمة التي حدثت في النمسا.. واستطاع الوقوف على صور محددة من الاشتراكية والبلشفية التي تزعمها العديد من القادة اليهود – كنوع من أنواع الحركات اليهودية – ليقوم بعمل دمج بين معاداة السامية وبين معاداة الماركسية.

وفي وقت لاحق.. ألقى هتلر باللوم في هزيمة الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الأولى على ثورات عام 1918 ومن ثم اتهم اليهود بجريمة التسبب في ضياع أهداف ألمانيا الاستعمارية.. وكذلك في التسبب في المشكلات الاقتصادية التي ترتبت على ذلك.

بداية كراهيته لليهود:

ذكر هتلر في مذكراته أن اعتقاده بحتمية معاداة السامية ظهر لأول مرة في فيينا التي كان تعيش فيها جالية يهودية كبيرة تشتمل على اليهود الأرثوذكس الذين فروا من المذابح المنظمة التي تعرضوا لها في روسيا.

(64) الآريون (Aryans) أو إريان هو شعب زجفادا بالهند استولوا علي إيران من الشمال الغربي للهند عام 2000ق.م. وكان سبباً في تدهور حضارة السند.. وكانت لغته صورة أولية من السنسكريتية ويطلق عليها الآرية.. وهي أساس اللغات الهندية الأوروبية . لأن الشعب الآري كان يسكن المناطق الممتدة من آسيا الوسطي حتي شرق أوروبا. وقد وصل للهند سنة 3000 ق.م. وبعض الآريين سكنوا شمال الهند إبان العصر البرونزي والآريون.. وعُرفوا بشدة بياض بشرتهم وجلدهم.. وقد عرفوا بالنوريكيين والتيتوتيكيين.. ولم يبق من هذا الجنس سوي اللغة الآرية التي تضم عدة لغات تعرف باللغات الهندو أوروبية.. وقد نزحوا كشعب بدوي من آسيا الوسطي عام 1500ق.م. ليستوطنوا أعالي نهر الهندوس بسهول يامونا Yamuna وجانجتيك Gangetic. وكانوا يعبدون آلهة الإغريق والأوروبيين الشماليين . وقد ابتكروا أشكالاً من النصوص الشفاهية في الفيدا المقدسة لدي الهندوس .. يقول ول ديورانت في كتاب..»قصة الحضارة»: (يسمي الزرادشتيون وطنهم الأول ..«إيرانا فيجو» أي موطن الآريين ويطلق استرابون لفظ إيرانا على البلاد التي يطلق عليها الآن هذا اللفظ...وهو إيران).. أما في تاريخ الطبري (إن إيران هو إيران بن سام بن نوح الذي ينسب إليه شعب بوان من بلاد فارس .

وفي هذه الفترة.. كانت فيينا مرتعاً لانتشار روح التحيز الديني التقليدية.. وكذلك للعنصرية التي ظهرت في القرن التاسع عشر.. ومن الممكن أن يكون هتلر قد تأثر بكتابات لانز فون ليبنفيلس واضع النظريات المعادية للسامية.. وكذلك بآراء المجادلين من رجال السياسة أمثال: كارل لويجر مؤسس الحزب الاشتراكي المسيحي وعمدة فيينا بالإضافة إلى المؤلف الموسيقي ريتشارد فاجنر(65) وجورج ريتر فون شونيرر وهو أحد زعماء حركة القومية الألمانية التي عرفت باسم «بعيداً عن روما!».. وهي الحركة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر والتي كانت تهدف إلى توحيد الشعوب التي تتحدث الألمانية في أوروبا.. ويزعم هتلر في كتابه كفاحي أن تحوله عن فكرة معارضة معاداة السامية من منطلق ديني إلى تأييدها من منطلق عنصري جاء من احتكاكه باليهود الأرثوذكس.

(65) ريشارد فاجنر (Richard Wagner) مؤلف موسيقى وكاتب مسرحي ألماني.. كان أحد الموسيقيين المفضلين لدى هتلر.. وهناك حظر غير مكتوب على عزف مؤلفاته الموسيقية في إسرائيل.ولد في ألمانيا سنة 1813.. وتوفي في إيطاليا سنة 1883 وكانت ولادته في نفس عام معركة الأمم بين جيش نابليون وجيوش الحلفاء (السويد.. النمسا.. بروسيا.. روسيا). لم يبد أي اهتمام موسيقي في طفولته.. كان أول أعماله الفنية ملحمة استوحاها من موت صديق له..وعمل معلما على الجوقة الموسيقية في الكنيسة المُلحقة بالبلاط الأميري في درسدن. اعتنق الأفكار الثورية.. وهرب إلى سويسرا ليستقر بها لفترة (1849 – 1861 م) دعمه «لودفيغ الثاني» (حاكم مملكة بافاريا) أثناء الفترة التي قضاها في إنجاز أعماله الأوبرالية الكبيرة فكان يعطيه مايحتاجه من مال ليسدد ديونه ولحياته المترفة.. ابتعد في أعماله عن الأوبرا الإيطالية وأسلوبها التاريخي.. وكان من أنصار المسرح الأسطوري (اقتبس أعماله من الأساطير الجرمانية القديمة).. استطاع أن يجمع بين النص والموسيقى.. وأن يوافق بين الأصوات والآلات الموسيقية.. كما أن طريقته في إعادة تكرار الفكرة الرئيسية عبر المشاهد المختلفة مكنته من أن يحافظ على تماسك الموضوع.. ويعتبر رائد النزعة الرومانسية في الموسيقي الألمانية.

وربما تأثر هتلر أيضاً بقراءته للدراسة التي قام بها مارتن لوثر [66] والتي كان عنوانها : «عن اليهود وأكاذيبهم» وربما يكون الدليل على ذلك في كتاب كفاحي

(66) مارتن لوثر (Martin Luther) .. مصلح ديني مسيحي ألماني شهير.. يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.. ولد في العاشر من نوفمبر سنة 1483 ببلدة أيسلبن (سكسونيا) ابناً لعامل مناجم يدعى هانس لوثر ولأسرة صغيرة من عمال المناجم متواضعة ومتدينة التحق لوثر في سنة 1497 بالمدرسة اللاتينية في ماغديبورغ لدى إخوة الحياة المشتركة.. ثم التحق بجامعة إرفورت سنة 1501 وحصل على الإجازة الجامعية في سنة 1505.. يقول عن نفسه : أن قسوة أبويه عليه حملاه على دخول الدير الأوغسطيني في ارفورت سنة 1505 وفي سنة 1507 رسّم قسيساً.. وفي سنة 1508 قام بتدريس الفلسفة في جامعة فتنبرج.. وتولى شرح كتاب (الأخلاق) لأرسطو. واستمر في ذلك عامي 1508 – 1509وفي سنة 1511 سافر إلى روما.. وهذه الرحلة هي التي غيرت مجرى حياته.. ولما عاد منها بدء سيرته مصلحاً للدين المسيحي.. وكان البابا في روما.. في أشد الحاجة إلى المال.. ولم يجد سبيلاً للحصول عليه إلا عن طريق إصدار وبيع صكوك الغفران.. وكان يطلب إلى الناس شراؤها ليغفر الله ذنوب أقربائهم أو من يشاؤون ممن يعذبون بسبب ما اقترفوه من ذنوب. فأصدر لوثر بياناً يحتوي على 95 قضية ضد صكوك الغفران. ولصق البيان على باب كنيسة فتنبرج.. في يوم 31 أكتوبر 1517.. فسافر تتسل إلى فرانكفورت وأصدر من هناك بياناً فند فيه قضايا لوثر الـ 95 ..وقام بإحراق بيان لوثر علناً.. فانتقم الطلاب في فتنبرج فأحرقوا بيان تتسل.. في سنة 1518 انضم ملانكتون إلى لوثر. وتدخل البابا لاون العاشر في النزاع فاستدعى لوثر إلى روما سنة 1518.. لاستجوابه في أمر قضاياه تلك. وصار لوثر يهاجم البابوية ككل.. وفي سنة1520 نشر لوثر نداءه الشهير الموجه إلى النبلاء العطايين في ألمانيا وتلاه برسالةعنوانها في الأسْر البابلي للكنيسة. وفي كليهما هاجم المذهب النظري لكنيسة روما.. فأصدر البابا لاون العاشر مرسوماً ضد لوثر يحتوي على 41 قضية. لكن لوثر أحرق المرسوم علناً أمام جمع حاشد من الأهالي والطلاب والعلماء في مدينة فتنبرج.. وامتدت تلك الثورة الدينية إلى سائر ألمانيا فدعا الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان) إلى عقد مجمع في مدينة فورمس في سنة 1521 وأصدر المجمع قراراً بتدمير كتب لوثر.. وأمر لوثر بالمثول أمام هذا المجمع.. وصدر قرار بنفيه من سائر بلاد= =الإمبراطورية الألمانية.. وتتلخص إصلاحات لوثر في الكنيسه الكاثوليكيه وإنشاؤه الكنيسة البروتستنتينية على أساس إلغاء غفران القسيس للذنوب وحرق صكوك الغفران وبالتالي إلغاء تكسب الكنيسه من الشعب.. المطالبة بزواج الكهنة والقسس حتى تتوقف الدعارة في الأديرة والكنائس وقام بالزواج من إحدى الراهبات.. وإلغاء القداس الإلهي.. وغفران القسيس لذنوب الميت حيث لا يغفر الذنوب إلا الله. .إلغاء تحويل القسيس للخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه باعتبارها عملية نصب وخزعبلات. . في سنة 1530 بلغت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا التي قام بها لوثر أوجها بإصدار اعتراف أوجسبورج.. وقد أمضى لوثر السنوات الباقية من عمره في زيارة الكنائس التي أخذت بحركة الإصلاح.. وفي إلقاء المواعظ التي نشر الكثير منها.. وفي لقاءاته مع ممثلي الكنائس الإنجليزية التي انضمت إلى حركة الإصلاح الديني. أساء إلى رسول الإسلام حين كتب في أحد مقالاته نصا : «إن محمد هو الشيطان وهو أول أبناء إبليس» وأن محمدًا كان مصابا بمرض الصرع وكانت الأصوات التي يسمعها كأنها وحي جزءا من مرضه. . قال عن الإسلام بأنه أداة الشيطان.. في سنة 1546 دُعي لفض نزاع قام في بلدة أيسلبن.. وبعد أن أفلح في فض النزاع أصيب بنوبة برد ما لبث أن توفي في أثرها وذلك في 18 فبراير 1546.

حيث يشير هتلر إلى مارتن لوثر باعتباره محارباً عظيماً ورجل دولة حقيقي ومصلح عظيم.. وكذلك كان كل من فاجنر وفريدريك الكبير بالنسبة له.

وكتب فيلهلم روبك عقب واقعة الهولوكوست.. قائلاً:

«مما لا شك فيه أن مذهب مارتن لوثر كان له تأثير على التاريخ السياسي والروحي والاجتماعي في ألمانيا بطريقة يمكن وصفها بأنها كانت جزء من أقدار ألمانيا».

ويحاول بعض الدارسين – خاصةً لوسي دافيدوفيتش أن يبرهنوا على أن نية هتلر لإبادة يهود أوروبا كانت تامة الرسوخ في ذهنه أثناء اشتراكه في معارك الحرب العالمية الأولى.. وبالتحديد بعد إصابته بحالة «عمى مؤقت» بالشكل الذى سنتحدث عنه لاحقاً..على الرغم من عدم استقراره على الطريقة التي سيتمكن بها من تنفيذ هذا الأمر.. وحول ذلك يقول هتلر في كتابه كفاحي:

«في بِداية الحرب الكبرى.. أَو حتى أثناء الحربِ – يقصد الحرب الأولى – إذا كان هناك عدة آلاف مِنْ هؤلاء اليهود الذين يُفسدونَ الأمةَ كَانوا قَدْ أُجبروا للإذْعان للغاز السامِ.. فان ملايين التضحياتِ جَعلتْ في الجبهةِ ما كَانَ يمكنُ أَنْ تَكُونَ دون جدوى.

بينما يعتقد معظم المؤرخين أنه اتخذ هذا القرار في عام 1941 بينما يعتقد البعض الآخر أنه قد عقد العزم عليه في وقت لاحق في عام 1942.

وفيما بعد ندم اليهود كثيراً لعدم مغادرتهم ألمانيا قبل 1935 عندما صدر قانون يحرم أي يهودي ألماني حق المواطنة الألمانية عوضاً عن فصلهم من أعمالهم الحكومية ومحالّهم التجارية. وتحتّم على كل يهودي ارتداء نجمة صفراء على ملابسه وغادر 180 ألف يهودي ألمانيا جرّاء هذه الإجراءات.

ألفريد بلويتز

في عام 1904 قام الطبيب الألماني ألفريد بلويتز[67] بنشر أفكاره عن ما أسماه تحسين النسل البشري عن طريق تغييرات اجتماعية بهدف خلق مجتمع أكثر ذكاءً وإنتاجية لأجل الحد مما أسماه المعاناة الإنسانية .

وبعد 16 سنة من هذه الكتابات نُشر كتاب باسم «الرخصة للقضاء على الأحياء الذين لا يستحقون الحياة » للكاتب القانوني كارل بايندنك الذى كتب الكتاب بالاشتراك مع الطبيب النفسي ألفريد هوج وكان الكتاب عن فكرة القيام بتعجيل الموت الرحيم للمصابين بالأمراض المستعصية علاجها ولم يتم في هذا الكتاب على الإطلاق ذكر إبادة أي عرق أو مجموعة بسبب انتماءهم إلى دين معين.. ويعتقد البعض أن هذين الكتابين استخدما فيما بعد من قبل النازيين من أجل استكمال خطتهم الشاملة لإبادة اليهود والمعروفة بالحل النهائي.. أو الحل الأخير.

ففي 1 إبريل 1933 أي بعد فترة قصيرة من صعود النازيين للحكم في ألمانيا قام الحزب بالقيام بإعلان مقاطعة كاملة ليوم واحد للأعمال والمنتجات التجارية التي يملكها اليهود في ألمانيا وتلى هذا الأجراء قرارات من قبل سلطات الرايخ الثالث في 7 أبريل 1933 بطرد اليهود من الدوائر والمؤسسات الحكومية وفي عام 1935 صدر قرار يمنع اليهودي من الزواج من غير اليهودية وبالعكس وتم سحب الجنسية الألمانية من اليهود وسحب منهم أيضًا حق التصويت في الانتخابات وفي 15 نوفمبر 1938 تم إصدار قانون يمنع التلاميذ اليهود من دخول المدارس الألمانية العامة.

(67) (Alfred Ploetz) عاش بين عامي 1860 – 1940 .

إيخمن.. وهتلر.. واليهود..

أما مصطلح الحل النهائي.. فقد تم استعماله لأول مرة من قبل أدولف إيخمان والذي أشرف على عمليات الهولوكوست وتمت محاكمته وإعدامه بالشكل الذي سنتحدث عنه في حينه من قبل محكمة إسرائيلية في 1 يونيو 1962 في سجن الرملة..تمت مناقشة خطة الحل النهائي في مؤتمر داخلي للحزب النازي عقد في منطقة وانسي Wannsee جنوب غرب برلين في 20 يناير 1942 والذي نوقشت فيه آلية أبادة 64٪ من يهود أوروبا وحضر ذلك الاجتماع هينريك هيملر أيضًا والذي كان من أقوى رجال أدولف هتلر وأكثرهم شراسة.. ونص مختصر محضر الاجتماع على أن الأسلوب السابق في تشجيع اليهود على الهجرة من ألمانيا قد تم تغييره إلى الاستبعاد القسري.

تحت البشر..

عملية الهولوكوست وبنود الحل الأخير بررتها الفلسفة النازية بكونها طريقة للتخلص ممن اعتبرتهم «تحت البشر» Untermensch وأن الأمة الألمانية لكونها عرق نقي Herrenvolk لها الحق في حكم العالم وأن العرق الآري يفوق في جودته الأعراق الأوروبية المختلطة مثل الغجر والبولنديين واليهود والسلافيين والأفريقيون وغيرهم وأن بعض فصائل المجتمع حتى إذا كانوا من العرق الآري مثل الشاذين جنسيا والمجرمين والمعاقين جسميًا أو عقليًا والشيوعيين والليبراليين والمعارضين لفلسفة النازية وشهود يهوه كانوا حسب الفكرة النازية من طبقة «تحت البشر» .

وتم بالإضافة إلى اليهود إبادة 100ألف شيوعي ومن (15 – 25) ألف ممن اعتبروا شاذين جنسيا وآلاف من أتباع جماعة « شهود يهوه ».. وتم إجراء جراحات طبية لمنع 400 ألف معاق عقليًا من الإنجاب واستعملت أساليب القتل الرحيم والتي سميت T4 لإنهاء حياة من (200 – 300) ألف من المصابين بعاهات لا أمل للشفاء منها .

ويعتقد معظم المؤرخين أن البداية الفعلية للهولوكوست كانت ليلة 9 نوفمبر 1938 حيث اجتاحت مظاهرات غاضبة ضد اليهود العديد من المدن في ألمانيا وتم كسر وتخريب المحلات التجارية لليهود وقتل في تلك الليلة 100 يهودي واعتقل 30 ألف.. وتم إتلاف 7000 محل تجاري.. ومئات المعابد اليهودية.. وسُمِيت تلك الليلة.. **Kristallnacht** بمعنى ليلة الزجاج المهشم.

معسكرات الإبادة أو الموت:

هي مصطلحات استخدمت لوصف مجموعة خاصة من المعتقلات تختلف عن معسكرات التكثيف أو المعتقلات الجماعية المعروفة.. والمعتقلون في هذا النوع من المعسكرات لم يكن من المتوقع أن يعيشوا لأكثر من 24 ساعة بعد وصولهم المعسكر..ويعتقد أن معظم المساجين في معسكرات التكثيف قد تم نقلهم إلى معسكرات الإبادة بعد عام 1942 وكان هناك عدة معسكرات من هذا النوع وجميعها في بولندا وهي:

معسكرات أوشوتز I & II & III

حيث كان كل معسكر من تلك المعسكرات يختلف عن الآخر.. وكان معسكر أوشوتز II من أكبر معسكرات الإبادة وكان يقع في منطقة برزيزنكا **Brzezinka** على بعد 3 كم من مدينة أوشوتز.. وتم بناءه عام 1941 ضمن خطة الحل النهائي.. كان طول المعسكر 2.5 كم وعرضه 2 كم.

ويوجد في المعسكر 4 محارق وما يسمي بمستودعات الغاز **gaschambers** وكان كل مستودع يتسع لحوالي 500 شخص.. وكان السجناء يصلون إلى المعسكر عن طريق القطار وكانت هناك سكك حديد مؤدية إلى داخل المعسكر وبعد وصولهم كانت هناك عملية فرز وغربلة أولية لفصل البعض منهم لغرض إجراء التجارب عليهم من قبل الطبيب النازي جوزيف مينجل .. وكان هناك قسم للنساء في المعسكر.

ولتقليل مخاوف السجناء كان النازيون يقولون لهم أنهم ذاهبون إلى الاستحمام وحسب بعض المصادر أن النازيين قد ربطوا أنابيب الاستحمام بمصادر قناني الغاز من نوع زيلكون بـ Zyklon B وهي عبارة عن السيانيد المستعمل كمبيد للحشرات والآفات الزراعية وبعد موت السجناء بهذه الطريقة أو طرق مشابهة كان استعمال الغاز فيها وسيلة رئيسية كانت الجثث تساق إلى المحارق لحرقها في نفس المبنى وهناك أرقام مثيرة للجدل منها أنه في هذا المعسكر وحده تم إبادة حوالي 300 ألف يهودي من بولندا و69 ألف يهودي من فرنسا و60 ألف يهودي من هولندا و55 ألف يهودي من اليونان و46ألف يهودي من مورافيا و25 ألف يهودي من بلجيكا ووصل العدد الإجمالي للأشخاص الذين تم إبادتهم في هذا المعسكر إلى مليون ونصف من الضحايا.

معسكر بلزاك :

هو أحد المحارق التي كانت تستعمل لحرق الجثث وتم إبادة ما يزيد عن نصف مليون يهودي في هذا المعسكر الذي يعتبر أول وأقدم معسكرات الإبادة وكان يقع على بعد نصف ميل من بلدة بلزاك الواقعة في منطقة لوبلن Lublin في بولندا

معسكر جيلمنو :

كان على بعد 70 كم من لودز oacute;dź&Ł ثاني أكبر مدينة في بولندا وتم إبادة 152 ألف سجين في هذا المعسكر

معسكر ماجدانيك :

هناك تضارب في تحديد العدد الإجمالى للأشخاص الذين تمت إبادتهم حيث قدرت المصادر السوفيتية التي دخلت المعسكر أول مرة أعداد الضحايا بحوالي 400 ألف ولكن فيما بعد وفي عام 1961 تم تقدير العدد بحوالى 50 ألف فقط.. وتشير آخر التقديرات أن الأعداد كانت حوالي 78 ألف.

معسكر سوبيبور

لقى معظم الغجر حتفهم في هذا المعسكر وبلغ العدد الإجمالي للضحايا في هذا المعسكر 250 ألف منهم 150 ألف يهودي من بولندا و31 ألف من تشيكوسلوفاكيا .

معسكر تريبلنكا :

استمر هذا المعسكر من يوليو 1942 إلى أكتوبر 1943 وتم إبادة 800 ألف شخصًا في هذا المعسكر مما جعله في المرتبة الثانية بعد معسكر أوشوتز .

وفي منتصف إبريل 1944 بعث هتلر قوات إلى داخل هنجاريا.. بدأت تجميع اليهود في تركيزات جماعية ومن منتصف شهر أيار بدأ بإرسال جماعي لليهود إلى أوشفيتس.

وقام القائد الألماني إيخمن بتقسيم هنجاريا إلى ستة مقاطعات جغرافية وخطط إرسال كل يهود هنغاريا إلى أوشفيتس ..مقاطعه بعد مقاطعة..حتى يتم تطهير كل المقاطعات من اليهود. وعندما تتخلص بودابست من يهودها ..في التالي..يكون قد تخلص من كل اليهود في هنجاريا.

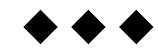
جُمِّع اليهود في معسكرات بشكل وحشي باكتظاظ رهيب في مصانع للطوب ومخازن التبغ وسجنوا هناك بين أسبوعين إلى أربعة أسابيع علي قليل من الماء والطعام.. أحد المحتجزين اليهود استطاع أن يهّرِب رسالة مكتوباً فيها:

« أشك بأنني لا استطيع أن أقاوم زمنًا كثيرًا..حيث أننا نعاني معاناة لا توصف.. ليس لدينا حتى فراش قش ولا بطانيات.. ننام على الأرض وقريبًا سنتجمد من البرد.. المكان مغلق ومشمع.. لا أرى أي طريق للخروج...نحن مهملون حتى أننا فقدنا الشبه الإنساني.. ليس هناك أي مجال لتنظيف شيء».

وفي كل يوم كان يخرج من هانجريا 4 قطارات كل واحدة منها تقل ما لا يقل عن 3000 يهودي مكدسين في العربات المشمعة.. وكانت هذه الرحلة تستغرق ما بين يومين إلى ثلاثة أيام.. وطيلة الوقت كان ركاب الحافلة من اليهود يُجبرون على الوقوف مضغوطين واحد إلى الآخر.. بدون ماء أو مكان يقضوا فيه حاجاتهم.. وبالتالي فإن المئات في كل قطار ماتوا أثناء السفر.

وعندما قرر الألمان والسلطات الهنجارية أن يبيدوا يهود هنجاريا.. بدأت السلطات الهنجارية بتسجيل اليهود وأجبروهم على ارتداء قلادة الإشارة الصفراء.

في نهاية إبريل 1944 كان الألمان والهنغاريون قد استطاعوا ترحيل 335000 يهودي هنغاري إلى مراكز الإبادة في أوشفيتس.. وحتى نهاية الحرب تمكن الألمان وشركائهم الهنغاريين من إبادة مئات الآلاف من اليهود .





Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الثاني عشر

هتلر ..

وأحداث النهاية !!

الانتصارات الخاطفة التي حصدها هتلر في بداية الحرب العالمية الثانية - وبالتحديد.. الفترة الممتدة من 1939 إلى 1942- جعلت منه رجل الاستراتيجية الأوحد في ألمانيا وأصابته بالغرور وامتناعه عن الإنصات إلى آراء الآخرين أو حتى تقبّل الأخبار السّيئة وإن كانت صحيحة.

خسارة ألمانيا في معركة ستالينجراد والعلمين وتردّي الأوضاع الاقتصادية الألمانية وإعلانه الحرب على الولايات المتحدة في 11 ديسمبر 1941 وضعت النقاط على الحروف ولم تترك مجالاً للشك أن بداية النهاية لألمانيا هتلر.. ومجابهة أعظم إمبراطورية (الإمبراطورية البريطانية) وأكبر أمّة (الاتحاد السوفييتي) وأضخم آلة صناعية واقتصادية الولايات المتحدة لاشك تأتي من قرار فردي لا يعبأ بلغة العقل والخرائط السياسية.

فكيف سارت أحداث النهاية؟

الهزيمة والموت

وبحلول نهاية عام 1944 كان الجيش الأحمر قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى.. وكانت قوات الحلفاء الغربيون تتقدم صوب ألمانيا.. وأدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب.. ولكنه لم يسمح بالانسحاب.

وتمنى هتلر أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكيين والبريطانيين.. وهو الأمل الذي دعمه وفاة الرئيس الأمريكي فرانكلين دي روزفلت(68) في الثاني عشر من أبريل من عام 1945.

وأصدر أوامره بالتدمير الكامل لكل البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع في أيدي قوات الحلفاء.. وقال : إن فشل ألمانيا في الفوز بالحرب أدى إلى خسارتها لحقها في البقاء.

(68) رانكلين ديلانو روزفلت (30 يناير 1882 - 12 أبريل 1945) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني .. وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي. تولى الحكم من تاريخ 4 مارس 1933 إلى 12 أبريل 1945 وأعيد انتخابه أربع مرات متتالية.. وتوفي في العام الأول من ولايته الرابعة.. صنف من أعظم= =ثلاث رؤساء لأمريكا.. عاصر الحرب العالمية الثانية حيث قاد الحلفاء إلى النصر على الرغم من شلله.. ويعد من أعضاء المنظمة السرية الماسونية يحمل درجة رقم 32 وهو نفس ترتيبه كرئيس للولايات المتحدة.. له مقولة مشهورة : «الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه هو الخوف نفسه».

وهكذا قرر هتلر أن الأمة بأسرها يجب أن تنتهي معه.. وعَهِدَّ هتلر بتنفيذ خطة الأرض المحروقة (تدمير كل ما يمكن أن ينفع العدو قبل الانسحاب من الأرض) إلى وزير التسلح ألبرت سبير الذي لم يطع أمر قائده.

وفي أبريل من عام 1945 هاجمت القوات السوفيتية ضواحي مدينة برلين.. ووجد هتلر نفسه في وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال بافاريا ليتمكن من مواجهتهم في جولة أخيرة في المعقل الوطني الذي لجأت إليه الفلول المتبقية من القوات.. ولكن هتلر كان مصمماً على أن يعيش في عاصمة بلاده أو يهلك فيها.

وفي العشرين من أبريل.. احتفل هتلر بعيد ميلاده السادس والخمسين في «قبو الفوهرر» الذي كان موجوداً أسفل مستشارية الرايخ.. وقام قائد الحامية المحاصرة في «حصن بريسلو الجنرال هيرمان نيهوف.. بتوزيع الشيكولاتة على القوات المحاصرة احتفالاً بذكرى ميلاد القائد.

وفي 21 أبريل من عام 1945 استطاعت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى بقيادة جورجي جوكوف أن تخترق دفاعات الفرقة العسكرية التابعة لقوات الدفاع الألمانية بقيادة الجنرال جوتهارد هاينريكي أثناء معركة مرتفعات سي لو.

وكان السوفيت في هذا الوقت يتقدمون صوب قبو هتلر دون مقاومة تذكر.. ومتجاهلاً الحقائق الواضحة.. رأى هتلر أن الخلاص من ورطته قد يكون في الوحدات المتداعية للسقوط بقيادة الجنرال فليكس شتاينر.

وأصبحت القوات التي يقودها شتاينر معروفة باسم جيش شتاينر المستقل.. ولكن.. لم يكن «لجيش شتاينر المستقل» أي وجود إلا فوق الورق الذي تُسطر فوقه الخطط العسكرية.. فقد كان هذا الجيش أكبر قليلاً من فيلق.. ولكنه كان أصغر من أن يطلق عليه جيش.

وأصدر هتلر أوامره إلى شتاينر بمهاجمة الجناح الشمالي من الجزء البارز الضخم في الخط الدفاعي الألماني الذي نجحت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى بقيادة جوكوف في اختراقه.

وفي هذه الأثناء صدرت الأوامر إلى الجيش التاسع الألماني (الذي كان قد أُجبر على التحرك إلى جنوب الجزء الذي نجحت قوات المعادية في اختراقه) بمهاجمة الشمال في هجوم يمكن وصفه بأنه هجوم كماشة.

وفي وقت لاحق في الحادي والعشرين من أبريل أجرى هاينريكي اتصالاً مع هانز كربس – قائد القيادة العليا للجيش ليخبره أن خطة هتلر غير قابلة للتنفيذ.. وطلب هاينريكي أن يتحدث إلى هتلر.. ولكن كربس أخبره أن هتلر مشغول للغاية ولا يستطيع أن يتلقى هذا الاتصال.

وفي الثاني والعشرين من أبريل.. وأثناء واحدة من مؤتمراته العسكرية الأخيرة قام هتلر بمقاطعة التقرير الذي كان يتلى عليه ليسأل عن مصير خطة الجنرال شتاينر الهجومية.. وكان الرد هو فترة من الصمت الطويل خيمت على الاجتماع.. وبعدها.. أخبروه بأن الهجوم لم يتم تنفيذه.. وأن انسحاب وحدات عديدة من جيش شتاينر من برلين – بناءً على أوامر هتلر – أدى إلى ضعف الجبهة وبالتالي نجاح الروس في الدخول إلى برلين.. عندها طلب هتلر من جميع الحاضرين – عدا فيلهلم كايتل وهانز كربس وألفريد يودل وفيلهلم برجدورف ومارتن بورمان – مغادرة غرفة الاجتماعات.. ثم انفجر فيمن تبقى من حاضري الاجتماع بخطبة مسهبة.. وعنيفة منددا بما اعتبره خيانة متعمدة لأوامره وعدم كفاءة من جانب قادته.. واختتم كلامه بأن أقسم على أن يبقى في برلين على رأس القوات المدافعة عن المدينة.. ثم يطلق النار على نفسه بعد ذلك.

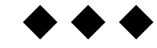
وقبل أن ينتهي ذلك اليوم.. وجد هتلر أن سبيل النجاة الوحيد أمامه يتمثل في تنفيذ خطة جديدة يستعين فيها بقوات الجيش الثاني عشر بقيادة الجنرال فالتر فنك.. وكان الخطة تقتضي أن يقوم فنك بتحويل جيشه – الذي كان يواجه القوات الأمريكية في الغرب حينها – إلى ناحية الشرق لتحرير برلين.. وهكذا.. يلتحم الجيش الثاني عشر مع الجيش التاسع لاقتحام المدينة.

وقام فنك بالفعل بالهجوم.. وفي غمار الفوضى استطاع أن يقوم باتصال مؤقت مع حامية بوتسدام.. ولكن.. لم ينجح بالمرة في الاتصال بالجيش التاسع – كما كان مقرراً في الخطة أصلاً.

حصار هتلر:

وفي الثالث والعشرين من أبريل أيضاً.. قام الرجل الثاني في حكومة الرايخ الثالث وقائد القوات الجوية هيرمان جورينج.. بإرسال برقية من منطقة بيرتشتيسجادين في بافاريا.. وصرح فيها بأنه بعد أن تم حصار هتلر في برلين.. فإنه يطالب بتولي حكم ألمانيا خلفاً لهتلر الذي كان قد اختاره لتولي هذا المنصب خلفاً له من قبل.. وذكر جورينج فترة زمنية معينة يتم بعدها اعتبار هتلر غير مؤهل للبقاء في الحكم.

ورد هتلر – في حنق – بإصدار أوامره بالقبض على جورينج.. وعندما كتب وصيته في التاسع والعشرين من أبريل.. أعفى جورينج من كل المناصب التي كان يتقلدها في الحكومة.







الفصل الثالث عشر

انتحار هتلر .. !!

مع انقضاء يوم السابع ولعشرين من شهر أبريل.. كانت برلين قد انعزلت تماماً عن باقي الرايخ.

وفي الثامن والعشرين من أبريل.. اكتشف هتلر أن قائد وحدات النخبة النازية هاينريش هيلمر.. كان يحاول مناقشة شروط الاستسلام مع الحلفاء عن طريق الدبلوماسي السويدي كونت فولك بيرنادوت.. وأصدر هتلر أوامره بإلقاء القبض على هيلمر.. كما أمر بإطلاق النار على نائب هيلمر في برلين هيرمان فيجلاين.

وفي مساء الثامن والعشرين من أبريل.. صرح الجنرال فينك بأن جيشه الثاني عشر قد تم إجباره على التراجع على طول جبهة القتال.. وأضاف إنه لم يعد من الممكن القيام بأية هجمات أخرى على برلين.

ولم يبلغ الجنرال ألفريد يودل (القائد الأعلى للجيش) هذه المعلومات إلى هانز كربس في برلين حتى وقت مبكر من صباح يوم الثلاثين من أبريل.

وصية هتلر الأخيرة

وفي التاسع والعشرين من أبريل.. كان كل من هانز كربس وفيلهلم برجدورف وجوزيف جوبلز ومارتن بورمان شهوداً على وصية أدولف هتلر الأخيرة ووقعوا عليها.. وقد أملى هتلر هذه الوثيقة على سكرتيرته الخاصة تراودل يونج وفي نفس اليوم.. تم إبلاغ هتلر بأخبار وفاة الإيطالي الفاشي بينيتو موسوليني.. وهو الأمر الذي زاد من تصميمه أن لا يلقى نفس المصير.. أو حتى الوقوع في الأسر.

وفي الثلاثين من أبريل من عام 1945 وبعد اشتباكات عنيفة انتقلت من شارع إلى شارع في مدينة برلين.. وبينما كانت القوات السوفيتية على بعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشارية الرايخ.. قام هتلر بالانتحار بإطلاق النار داخل فمه وهو يضع في فمه كبسولة سيانيد.. وهي الرواية العامة المقبولة لطريقة موت الزعيم النازي.

ولكن هذه الطريقة المزدوجة في الانتحار والظروف الأخرى التي أحاطت بالحادثة شجعت البعض على إطلاق الشائعات بأن هتلر لم ينتحر وأنه عاش حتى نهاية الحرب العالمية الثانية مع الاختلاف حول ما حدث لجثته.

تفاصيل الوفاة:

كان هتلر قد اتخذ من قبو الفوهرر مقراً له منذ 16 يناير 1945 وكانت ألمانيا النازية تنهار سريعاً تحت ضربات الحلفاء الذين يتقدمون من الشرق والغرب.. وفي نهاية أبريل دخلت القوات السوفيتية برلين وكانت تشق طريقها إلى وسط المدينة حيث يوجد مقر المستشارية الألمانية.

وفي 22 أبريل عاني هتلر مما وصفه بعض المؤرخين بانهيار عصبي خلال أحد الاجتماعات العسكرية لتقييم الحالة.. وفي هذا الاجتماع أقر هتلر بأن الهزيمة قريبة وأن ألمانيا ستخسر الحرب.. وصرح بأنه سينتحر.. وبعد ذلك سأل الدكتور فارنر هاسه عن طريقة جيدة للانتحار.. واقترح هاسه تناول السيانيد ثم إطلاق النار على الرأس.

وحصل هتلر على كمية من كبسولات السيانيد عن طريق وحدات النخبة النازية.. وفي هذه الأثناء في 28 أبريل.. علم هتلر أن هاينريش هيملر يحاول التفاوض بدون علمه على اتفاقية سلام مع الحلفاء.. واعتبر هتلر ذلك خيانة وبدأ يظهر علامات فرط الارتياب.. فأظهر شكوكه في فاعلية كبسولات السيانيد التي استلمها من وحدات النخبة النازية التي يترأسها هيملر.. وللتأكد من فاعلية كبسولات السيانيد أمر الدكتور هاسه بتجربتها على كلبه بلوندي ومات الكلب مثبتاً فاعلية الكبسولات.

وبعد منتصف ليل يوم 29 أبريل تزوج هتلر من إيفا براون في حفل صغير في غرفة الخرائط داخل قبو الفوهرر.. وبعد أن تناول فطاراً خفيفاً مع زوجته الجديدة ذهب إلى غرفة أخرى مع سكرتيرته تراودل يونجه وكتب وصيته الأخيرة [69] ثم وقع على وصيته في الرابعة صباحاً ثم رجع لغرفة نومه.

---

(69) بعض المصادر تقول أن هتلر كتب وصيته قبل الزواج مباشرة.

وعاش هتلر وإيفا في القبو كزوجين لأقل من 40 ساعة فقط.. وفي صباح 30 أبريل.. كان السوفيت على بعد 500 متر من القبو.. قابل هتلر اللواء هيلموت فايدلينج قائد منطقة برلين الدفاعية الذي أخبر هتلر أن حامية برلين ستنفذ ذخيرتها هذه الليلة.. وطلب فايدلينج من هتلر السماح له بالهرب. وقد طلب فايدلينج من هتلر من قبل السماح له ولكن هتلر رفض.. ولم يرد عليه هتلر ثم ذهب فايدلينج إلى مقر القيادة في مبنى «البندل ربلوك» حيث جاءه رد هتلر الساعة الواحدة ظهراً بالسماح له بالهرب تلك الليلة.

وتناول هتلر عشاءً خفيفاً مكونًا من مكرونة اسباجيتي بالصلصة مع اثنين من سكرتيراته والطباخ ثم لف هتلر وزوجته إيفا على سكان القبو وتمنيا لهم حظاً سعيداً وكان من ضمن سكان القبو عائلة جوزيف جوبلز.. بورمان.. السكرتيرات والعديد من ضباط الجيش.. وفي حوالي الساعة الثانية والنصف ظهراً دخل الزوجان حجرة مكتب هتلر الشخصية.

وقال بعض الشهود بأنهم سمعوا صوت طلقة مسدس حوالي الساعة الثالثة والنصف عصراً (وقيل أن الابن الأصغر لجوبلز قال «أُصيب الهدف» أو «إصابة مباشرة» معتقداً إنها قنبلة سقطت على رؤوسهم).

رائحة لوز محترق:

وبعد دقائق قليلة.. فتح خادم هتلر هاينز لينجه ومعه بورمان باب الغرفة الصغيرة.. وقد قال لينجه بعد ذلك أنه شم رائحة لوز محترق وهي تلك الرائحة التي تميز حمض البروسيك.. وهو الصورة الغازية للسيانيد.. وكان الزوجان جالسان على أريكة صغيرة.. إيفا على اليسار وهتلر على يمينها.. وكان جسد إيفا مائلاً بعيداً عن هتلر.. وكان واضحاً أن هتلر قد أطلق النار على الجانب الأيمن من رأسه (وكان هناك جرح ناتج من خروج الرصاصة من يسار رأسه مائل ناحية الأعلى) وكان يوجد مسدس فالتر عيار 7.65 مللى تحت قدميه.. وكانت الدماء تسيل من جانب رأسه وذقنه وصبغت الدماء الذراع الأيمن للأريكة وكانت تتساقط على السجادة.. وأرضية الغرفة.. ولم يكن لدى إيفا أي جروح ورجح لينجه أنها تناولت السم فقط.

وقال العديد من الشهود : أن الجثتين حملتا إلى خارج القبو على الدور الأرضي فوق الأرض عبر مخرج الطوارئ إلى حديقة صغيرة تم قصفها وراء مقر المستشارية حيث قام أوتو جونش وبعض الضباط المعاونين الموجودين في قبو القائد بسكب الكثير من البنزين على الجثتين.. وإشعال النار فيهما وحرقهما بواسطة لينجه وعناصر الحرس الخاص بهتلر.. ولكن لم تحترق الجثتان تماماً عندما باغت القصف السوفيتي على القبو مما جعل محاولتهم لحرق الجثة مرة أخرى مستحيلة وتم تغطية بقايا الجثتين داخل حفرة ضحلة صنعتها قنبلة في الساعة السادسة مساءً.. وفي الثاني من مايو.. استسلمت برلين.

وقد أكدت الوثائق السوفيتية المفرج عنها من جهازي K.G.B وجهاز الأمن الفيدرالي الروسي سنة 1993 الرواية التي تقول بانتحاره.. ولكنها لم تظهر ما حدث لبقايا جثته بعد حرقها.

وفي السنوات التي أعقبت الحرب.. تضاربت المعلومات التي وردت في التقارير عن مصير ما تبقى من رفات هتلر.. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي.. وردت معلومات من التقارير التي كانت محفوظة في الأرشيف السوفيتي أنه قد تم دفن الجثث الخاصة بكل من هتلر وإيفا براون وجوزيف جوبلز وقرينته ماجدا جوبلز وأطفال جوبلز الستة.. والجنرال هانز كربس والكلاب التي كان هتلر يمتلكها سراً في مقابر بالقرب من مدينة راثيناو في ولاية براندنبورج.

وفي عام 1970 فتح السوفيت المقبرة التي تم دفنهم فيها.. وتم حرق الرفات التي وجدت بها ونثرها في نهر الألب.. ووفقاً للمعلومات الواردة من جهاز الأمن الفيدرالي الروسي.. فإن جزء من جمجمة بشرية تم الاحتفاظ بها في الأرشيف الخاص بالجهاز وعرضها في معرض في عام 2000 وهي من الرفات التي تبقت من جسد هتلر وتعتبر كل ما تبقى من هذا الرفات.. وقد شكك العديد من المؤرخين والباحثين في حقيقة انتماء هذا الجزء من الجمجمة لرفات هتلر.

معلومات مغلوطة:

قام الصحفي السوفيتي ليف بيزمينسكي بنشر تقرير تشريح جثتي هتلر وإيفا عام 1969 وعلى الرغم من نشر هذا التقرير في الغرب.. إلا أن المؤرخين الغربيين لم يصدقونه لأنهم اعتبروه محاولة سوفيتية لدس معلومات مغلوطة.

وفي عام 1993 نشرت الـ«K.G.B» التقرير علانية ومعه العديد من شهادات أعضاء المخابرات السوفيتية.. ومن هذه الوثائق السوفيتية.. توصل المؤرخون إلى اتفاق على ماحدث لجثتي هتلر وإيفا.. وصوروه بالشكل التالي:

- بدأ جنود الجيش الأحمر اقتحام مقر المستشارية حوالي الساعة الحادية عشر مساءً.. بعد حوالي سبع ساعات ونصف من موت هتلر.
- وفي يوم 2 مايو اكتشف إيفان تشوراكوف من الفيلق التاسع والسبعين بقايا جثث هتلر.. إيفا وكلبين في حفرة قذيفة.. وكان يُصاحب هذا الفيلق وحدة من المخابرات لديهم أوامر بالبحث عن جثة هتلر.

وفي تقرير التشريح كتب أنه يوجد تدمير في جمجمة هتلر ناتج عن رصاصة بالإضافة إلى قطع من الزجاج في ذقنه.. وقد تم دفن وإخراج بقايا الجثتين عدة مرات بواسطة وحدة المخابرات المضادة خلال انتقال الوحدة من برلين إلى منشأة جديدة في ماجد يبورج حيث تم دفنهما نهائياً ومعهما البقايا المتفحمة لوزير الدعاية جوبلز وزوجته (ماعدا أطفاله الستة) في قبر بدون شاهد في القسم الممهد من الفناء الرئيسي للمنشأة وظل مكان الجثث في طي الكتمان.

وبحلول عام 1970 اتفق على تسليم منشأة المخابرات المضادة إلى حكومة ألمانيا الشرقية.. وخوفاً من تحول مقبرة هتلر إلى مزار للنازيين الجدد.. أمر مدير الـ«K.G.B» يوري أندروبوف بتنفيذ عملية خاصة لتدمير بقايا الجثث.

وفي 4 ابريل عام 1970 قام فريق من الـ«K.G.B» (مزودين بخرائط مفصلة عن موقع الدفن) بإخراج الجثث سراً وتم إحراقها تماماً قبل أن يرموا رمادها في نهر الألب.





Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الرابع عشر

رجال .. ونساء

حول هتلر !!

◆◆◆

تحدثنا عبر الفصول السابقة عن العديد من الشخصيات التى أحاطت بهتلر عبر رحلة حياته.. ومدى التأثير والتأثر المتبادل بينه.. وبينهم.. ونتوقف هنا عند أهم تلك الشخصيات لنتعرف أكثر عن قرب على كلٍ منهم .. ونبدأ بأهمهم على الإطلاق .. وهو الرجل الذى كان يوصف دوماً بأنه الذراع الأيمن لهتلر.. وهو ..

أدولف إيخمن:

أدولف أوتو إيخمان (1906ـ 1962م) هو المسئول عن قتل ملايين اليهود خلال الحرب العالمية الثانية.. بالإضافة لكونه أحد المسؤولين الكبار في الرايخ الثالث.. وضابط سابق في القوات الخاصة الألمانية أو ما تعرف بقوات العاصفة Waffen SS . كان أدولف إيخمان أيام هتلر خبيراً في الشئون الصهيونية قبل أن يصبح رئيساً لقسم (اليهود) في جهاز أمن ألمانيا المسئول الأول عن معسكر أوشفيتز أكبر معسكر لاعتقال اليهود

وُلد إيخمان في مدينة «سولينجين» الألمانية. وفي طفولته.. كان الأطفال يعيرونه «باليهودي» لميول بشرته إلى اللون الداكن إذا ماقورن بلون البشرة العام للأوروبيين

في عام 1934 .. عمل إيخمان كعريف في فرقة القوات الخاصة «SS» الألمانية في أحد معسكرات الأعمال الشاقة.. وفي 1937 غادر إلى فلسطين لدراسة جدوى ترحيل اليهود من ألمانيا إلى فلسطين.. وعدم حصوله على تأشيرة دخول من السلطات البريطانية حالت دون دخوله إلى فلسطين. توجه بعدها إلى القاهرة حيث التقى أحد عناصر منظمة الهاجاناه وكما التقى مع مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني.

في النهاية.. كتب إيخمان تقريره الذي يخالف فكرة ترحيل اليهود بشكل جماعي إلى فلسطين لأسباب اقتصادية ولتعارض فكرة إنشاء دولة يهودية مع الفكر النازي.

وبعد الحرب العالمية الثانية.. ألقت القوات الأمريكية القبض عليه وتمكن فيما بعد من الفرار من السجن. وبعد تنقلات دولية متعددة.. استقر إيخمان في الأرجنتين مستخدماً اسمًا مستعارًا «ريكاردو كليمينت».

وفي (مايو) عام 1960 قام «الموساد» (جهاز الأمن السري الإسرائيلي) بعملية اختطاف إيخمان من الأرجنتين .. حيث كان يقيم باسم ريخاردو كليمنت.

وردا على ذلك قامت الأرجنتين بتقديم شكوى رسمية إلى مجلس الأمن للأمم المتحدة..ضمت استنكار عملية الاختطاف..ولكنها اعترفت بضرورة تقديم إيخمان إلى المحاكمة.

أما إيخمان فاتهم بـ«القيام بجرائم ضد الشعب اليهودي.. جرائم ضد الإنسانية.. جرائم حربية وبعضويته في منظمة معادية» والتي تعتبر جرائم بموجب قانون محاكمة النازيين ومساعديهم من عام 1950.

وأجريت محاكمة إيخمان في المحكمة المركزية في القدس في (أبريل) حتى ديسمبر عام 1961..

عملية بارعة..

وحين تشكلت محاكمة نورمبرج لمحاكمة مجرمي الحرب من الألمان فر إيخمان من براثنها بمساعدة المليونير اليهودي (كاستنر) وفي عملية تعتبر من أبرع عمليات الموساد تم إحضار إيخمان من الأرجنتين التي كان قد استقر فيها وغير معالمه وشخصيته وتكمن براعة العملية بأن الأرجنتين لم تعلم بها حتى أعلنت (إسرائيل) أن إيخمان تم القبض عليه .

بدأت محاكمة إيخمان تعلَلَ هو بأنه كان ينفذ أوامر هتلر وبأنه ساعد اليهود وهربهم ووقف بجانبه (كاستنر) اليهودي ..لكن طلبه رفض وأيقن أنه سيلاقي مصيره فقرر قراراً استغربه اليهود :

طلب من اليهود أن يعتنق اليهودية وأن يسجل في الأوراق الرسمية كيهودي.. ولما سأله اليهود عن السبب الذي دفعه لاعتناق اليهودية أجابهم بأنه سيصرح بالسبب أمام وسائل الأعلام ووكالات الأنباء ففرح اليهود وجمعوا له وكالات الأنباء.

وانتصب إيخمان في وقفة عسكرية وقال أمام عدسات الكاميرات :

« أردت أعتناق اليهودية ليس حباً فيها .. ولا حباً في إسرائيل .. إنما أردت بذلك أن أهتف لنفسي- أن كلباً يهودياً قد أعدم ليدرك من سبقوه من الكلاب .. وأنه لكم يسعدني قبل أن أموت .. ..أن أوجه رسالة اعتذار إلى الإسرائيليين .. تحمل كل ندمي وحرقتي.. وأنا أقول لهم أن أشد مايحز في نفسي أنني ساعدتكم على النجاة من أفران هتلر.. لقد كنت أكثر إنسانية معكم.. بينما كنتم أكثر خبثاً وقذارة أيها الكلاب.. إن أرض فلسطين ليست إرثكم ولا أرضكم.. فما أنتم إلا عصابة من الإرهابيين والقتلة ومصاصي دماء الشعوب.. ماكان لكم إلا الحرق في أفران هتلر لتنجو الأرض من خبثكم وفسقكم ويهنأ الكون بعيداً عن رذائلكم.. فذات يوم سيأتيكم هتلر عربي يجتث وجودكم اجتثاثاً.. ويحرق عقولكم وأبدانكم بأفران النفط.. أيها الكلاب.. يؤلمني أن أشبهكم بالكلاب.. فالكلاب تعرف الوفاء الذي لا تعرفونه.. لكن نجاسة الكلاب وحيوانيتها من ذات سلوككم .. اهنؤوا ما شئتم بإجرامكم في فلسطين.. حتى تجيء اللحظة التي تولون فيها الأدبار.. وتعلو صراخاتكم تشق العنان.. فتذوقوا مذلة النهاية التي لا تتصوروا أنها بانتظاركم وعندها ستكون الكلاب الضالة أفضل مصيراً منكم ».

بعد هذا الكلمة الصدمة على حقد اليهود في قلوبهم السوداء فشنقوه ثم حرقوه في فرن صنع خصيصاً له ومن ثم طحنت عظامه ووضعت داخل علبة حديدية ورميت في البحر على طريقة موسى حين رمى العجل المحروق .

كان المدعي العام في المحاكمة هو المستشار القضائي للحكومة..جدعون هاوزنير.. وقد استمعت المحكمة إلى أكثر من مائة شاهد وعاينت ما يزيد عن مليون و600 ألف مستند.. وادعى إيخمان بأنه قط أطاع الأوامر غير أنه قال في مقابلة أجريت معه في عام 1957 :

«لو قدرنا على قتلهم جميعا.. لكنت سعيداً» وقد أدين إيخمان وحكم عليه بالإعدام.

كان هذا هو حكم الإعدام الأول والوحيد في تاريخ دولة إسرائيل حيث ردت محكمة العدل العليا الاستئناف الذي قدمه إيخمان إليها في (مايو) عام 1962.

وقد أثارت هذه المحاكمة أصداء واسعة في إسرائيل..لأنه تم تقديم مجرم نازي مركزي للمحاكمة في محكمة إسرائيلية..ولما أحرزه عرض أحداث المحرقة النازية من جديد من قيم تربوية.



ثعلب الصحراء إيروين روميل

Erwin Rommel

هو «إيرفن روميل» المولود في ١٥ نوفمبر ١٨٩١في مدينة «هايدنهايم» الألمانية.. لقب بـ «ثعلب الصحراء» لما كان يتمتع به من دهاء.. وفكر تكتيكي واستراتيجي عسكري رفيع.. شارك في حملة فرنسا.. وقاد الفرقة المدرعة السابعة «بانزر» والتي سميت باسم «الشبح».. ويعتبر روميل هو واضع أشهر التكتيكات المستخدمة حتي يومنا هذا في معارك المدرعات .

خسر حرب العلمين فى مصر على يد الجنرال الانجليزي مونتجومري قائد الجيش الثامن البريطاني في معركة فئران الصحراء في أكتوبر 1942 م ليس لعدم كفاءته.. أو لكفاءة خصمه بل لعدم توفر دعم جوي لديه.. وكذلك نقص حاد في الذخيرة التى كانت لديه.. بينما كان خصمه يتمتع بتفوق جوي مطلق ونسبة قواته تعادل 1:3 .

الصليب الحديدي :

نال روميل عام 1915 وسام الصليب الحديدي لجهوده المتميزة في معارك الحرب العالمية الأولي.. وبعد انتهاء الحرب عاد روميل من ثكنات الجيش ليقوم بالتدريس في المعاهد العسكرية الألمانية.. وألف عدداً من الكتب العسكرية.. مما لفت نظر هتلر لشخصيته.. فاستدعاه.. وقربه منه.. وجعله قائده المفضل في معارك الحرب العالمية الثانية.. وذلك بالرغم من عدم إيمان « روميل » على المستوى الشخصي بالفكر النازي.. إلا أنه كان شديد الإيمان بوطنيته.. وألمانيته.. مما جعله مخلصاً أشد الإخلاص للرجل الذي كان يحكم وطنه.. وإن اختلف أيدلوجياً معه .

وفي الثالث من مارس عام ١٩٤٣م.. قاد القوات الألمانية والإيطالية في معركة «مدينين» بالصحراء التونسية.. والتي كانت آخر معاركه في شمال أفريقيا.. وهي المنطقة التي شهدت له معاركها بنبوغه العسكري.. بعدما أحدثه فيها من انقلاباً في الفكر العسكري.

روميل في شمال أفريقيا :

وكان روميل قد تولي قيادة القوات الألمانية والإيطالية الحليفة في شمال أفريقيا عام ١٩٤١م واستطاع استرداد ليبيا من قبضة البريطانيين بعد معارك خاطفة.. مما حمل الزعيم النازي هتلر علي ترقيته إلي رتبة « فيلد مارشال » ليصبح أصغر ضابط يحصل علي هذه الرتبة.

جنون هتلر :

لكن رضا النازي لم يدم طويلاً.. حيث كان ينظر للقادة المهزومين في المعارك التي يخسرونها باعتبارهم خونة.. هذا ما حدث لروميل.. فأقر هتلر روميل بالعودة إلي ألمانيا.. خاصة أنه مع الهزائم التي لحقت بروميل وقتئذ نمي لسمع هتلر أنه انتقد قيادته لألمانيا.. ولما عاد أرسل إليه هتلر اثنين من جنرالات الجيش يخيرانه بين الانتحار وضمان سلامة أسرته في النهاية.. أوالمحاكمة واتهامه بالخيانة ففضل«روميل» الانتحار بالسم وكان ذلك يوم 14 أكتوبر 1944.

***

هينرك هملر Heinrich Himmler :

هينريك هيملر من أقوى رجال أدولف هتلر وأكثرهم شراسة..قاد فرقة القوات الخاصة الألمانية والبوليس السري المعروف بـ«الجيستابو» وأشرف على عمليات إبادة المدنيين في معسكرات الموت الألمانية.

هيرمان جورينج Hermann G öring

هيرمان جرينجمن أبرز قيادات ألمانيا النازية.. والأب الروحي لجهاز البوليس السري «جيستابو » أحد أبرز مهندسي الألمانية النازية.. تم الاستشهاد بأقواله مراراً وتكراراً في كتاب «يوميات نورمبرج» الذي يتناول أحداث محاكم نورمبرج الشهيرة بعد الحرب العالمية الثانية.

***

جوزيف جوبلز Joseph Goebbels

الدكتور بول جوزيف جوبلز وزير الدعاية السياسية في عهد هتلر ألمانيا النازية.. وأحد أبرز أفراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية.. لعب دوراً مهماً في ترويج الفكر النازي لدى الشعب الألماني بطريقة ذكية..وقبيل إقدامه على الانتحار وفي الفصل الأخير من الحرب العالمية الثانية عينه هتلر ليكون مستشار ألمانيا كما اتّضح في وصية هتلر الخطيّة إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ الثالث..وفي 1 مايو 1945.. أقدم جوبلز على الانتحار مع زوجته وأطفاله الستة.. الذين تراوحت أعمارهم بين 4 و11 سنة..

***

ويلهلم موهنكWilhelm Mohnke

ويلهلم موهنك..قائد شرطة SS كان أحد أبرز الأعضاء الـ 120 في هذا الجهاز.. بدأ يرتقى في الجيش إلى أن أصبح من أبرز القادة المقربين لهتلر.. تم القبض عليه من قبل السوفييت عند احتلالهم برلين.. وأُطلق سراحه سنة1955 .

***

هيلموث وييدلنج Helmuth Weidling

هيلموث وييدلنغ كان أحد أبرز الضباط الأكفاء في فترة ألمانيا النازية.. وأثناء غزو السوفييت لألمانيا وبدأ حصارها لبرلين.. كُلِفَّ وييدلنج بقيادة خطة الدفاع عن محيط برلين..

أوطو جونشOTTO Günsche

أوطو جونش لم يكن يحمل رتبة عسكرية كبيرة.. ولكنه كان مصدر ثقة كبير لهتلر.. وشاركه الاختباء في القبو الذى قضى. فيه هتلر أيامه الأخيرة.. وعندما أراد هتلر الانتحار كلف هذا الضابط بإحضار 200 لتر من البنزين وحرق جثته كي لا تقع في أيدي السوفييت.

***

روبيرت ريتير فون غرييم Robert Ritter Von Greim

روبيرت ريتير فون غرييم هو جنرال للقوات البرية والجوية..و بعد إلغاء قيادة الجو من جورينج عينه هتلر قائدًا لها لكن ذلك كان في الساعات القليلة قبل سقوط برلين.. وفي نهاية المطاف انتحر في24 مايو 1945.

***

ألبرت سبيرAlbert Speer

ألبرت سبير هو مهندس ألمانيا النازية وكان رجلاً عبقرياً في وضع مخططات لعدة بنايات..و كان هتلر يريده أن يبني برلين بعد زوال الحصار السوفياتي كما كان يظن إلى مدينة كلها فن تدل على الحضارة الألمانية.. وبالفعل وضع مخططا ليعرضه على هتلر.. وقد تم القبض عليه وحُوكِم 20 سنة من طرف محكمة نورمبرج.

أهم الشخصيات النسائية في حياة هتلر

ارتبط هتلر بعلاقة خطبة في العشرينات مع امرأة تدعى ميمي رايتر.. وفي وقت لاحق كانت له عشيقته الأشهر وهي إيفا براون.. وكانت تربطه علاقة وثيقة بابنة أخته غير الشقيقة جيلي راوبال.. وهي علاقة شاع بشكلٍ كبير أنها كانت علاقة جنسية بالرغم من عدم وجود أدلة حقيقية مؤكدة تثبت ذلك.

ويذكر جون تولاند في كتابه Adolf Hitler: The Definitive Biography أن هتلر كان كثيراً ما يزور جيلي بصفته خطيبها.. كما كان يضع الكثير من القيود على تحركاتها ما لم تكن بصحبته.

وقد حاولت النساء الثلاث الانتحار (ونجحت اثنتين منهما بالفعل في ذلك) وهي حقيقة أدت إلى وجود بعض التكنهات عن إصابة هتلر بانحراف جنسي خاص وذلك بحسب ما ذكره أوتو شتراسر وهو أحد الخصوم السياسيين لهتلر.

وقد أنكر رايتر وهو الشخص الوحيد الذي ظل على قيد الحياة بعد سقوط النازية كل تلك الأقاويل .

وأثناء فترة الحرب وبعدها.. قدم المحللون النفسيون عدداً لا حصر له من التفسيرات النفسية – الجنسية غير المتوافقة مع بعضها البعض لتصرفات هتلر من منظورات مختلفة.

وتشير بعض النظريات إلى أن هتلر كانت له علاقة بواحدة من معتنقات الفكر الفاشي.. وهي البريطانية يونيتي ميتفورد.. وفي الآونة الأخيرة.. تحدث لوثر ماشتان في كتابه هتلر الخفي [70] عن أن هتلر كان مثالياً.

(70) The Hidden Hitler.

إيفا براون

وُلدت إيفا في السادس من فبراير 1912 مدينة ميونخ الألمانية وتلقت تعليمها في أحد الأديرة.. والتقت بأدولف هتلر عندما كانت تعمل مساعدة لأحد موظفي هتلر في عام 1929 ويحكى عنها أنها دست رسالة غرامية في جيب هتلر فقام على أثر هذه الرسالة بدعوتها لمنتجعه الجبلي وأصبحت بعدها عشيقته.

وكان المؤرخون يصفونها أنها امرأة «ذات ذكاء محدود.. وتفان وإخلاص لعشيقها هتلر».

قصة التعارف:

عام 1929 كانت إيفا براون فتاة رائعة الجمال وكانت تبلغ وقتها من العمر 17 عاما.. كانت ساذجة لكنها كانت مفعمة بالطموح.. وكانت تنتمي إلى أسرة كاثوليكية بافارية محترمة.. كانت تشعر بجاذبيتها عند الرجال وكانت قد بدأت للتو أول عمل لها في احد محلات التصوير الفوتوغرافي في الحي البوهيمي في مدينة ميونيخ.. وفي أحد أيام شهر أكتوبر من ذلك العام دخل أدولف هتلر حياتها»

«وفي وقت لاحق روت إيفا لأختها إيلزي ما حدث في ذلك اليوم قائلة: «كنت فوق سلم خشبي أبحث عن بعض الملفات التي كانت موضوعة فوق أحد أرفف خزانة الملفات.. وفي تلك الأثناء دخل عليّ المدير ومعه رجل لا أعرف سنه تحديداً وله شارب مضحك.. كان يرتدي معطفا إنجليزيًا طويلاً فاتح اللون.. وجلسا إلى الجانب المقابل لي من الغرفة.. وعندما اختلست النظر باتجاهها لاحظت أن ذلك الرجل كان يصوب نظراته نحو ساقي» .

«والواقـع يمكـن القـول أن ملامـح مصـيرهما المسـتقبلي المأسـوي بـدأت ترتسـم في تلـك المقابلـة السريعة.. فلقد أبدى ذلك الضيف الغريب اهتمامًا فوريًا وفعليًا بتلك الفتاة الجميلة التي رآها على السلم.. وتقول براون في مذكراتها أن مديرها هنريتش هوفمان كان آنذاك المصور الخاص لهتلر وفي نفس الوقت صديقه وأنه قدم إليها هذا الأخير تحت اسـم: «هـر وولـف» وهـو اللقـب الـذي كـان معروفا به آنذاك قبل أن يتحول هذا الرجل إلى الزعيم النـازي الـذي أصبح فيها بعـد أداة العقـاب الإلهي لها ـ ولباقي البشرية ـ ويبدو أن كان لذلك الضيف تأثير فوري: فلقـد قـررت إيفـا منـذ تلـك اللحظة أن تتزوجه بينما كان هو مصمماً آنذاك على أن يبقى عازبًا ومن دون إنجـاب.. لكنـه لم يكـن ليسمح لها في المقابل بأن تذهب في الحال لسبيلها».

والمهم أنها عاشت معه طوال حياتها كعشيقة ولم يتزوجها حتى لحظة الانتحار المشترك لهما في الملجأ في برلين حيث رفضت الموت كعشيقة فتزوجا.. ثم انتحرا سويًا .

وكان هتلر قدأبدى اهتماماً أكثر بإيفا بعد انتحار جيلي روبال.. وكان هتلر خالاً لجيلي.. ويشـاع أنـه كان بين الاثنين علاقة حميمة غير العلاقة المعتادة بين الخال وابنة أخته.

حاولت إيفا هي الأخرى قتل نفسها عن طريق إطلاق النار على رقبتهـا.. وبعـد معافاتهـا.. اشـترى هتلر لها منزلاً في ميونخ وسيارة مرسيدس وعين لها سائقاً خاصّاً.

وفي سنة 1936 دخلت إيفا براون بيـت الفـوهرر وأقامـت فيـه بصـورة رسـمية كمضـيفة للبيـت.. وكل من كان ينتقد السياسة العامة لحكومة هتلر أو التذمر مـن الهـزائم التـي ألمّـت بـالرايخ الثالـث إبان الحرب العالمية الثانية لم يكن مرحباً فيه في بيت هتلر وحرصت على أن لا تـراهم في بيـت هتلـر مرة أخرى.. كما لم تتدخل في شؤون الدولة بحكم قربها من عشيقها والتأثير عليه لتغيير سياساته.

وعندما ضيق الجيش الأحمر الخناق على العاصمة برلين.. رفضت مغادرة مركز القيادة الألمانيـة هـي وعشيقها هتلر .

وفي 29 إبريل 1945 م.. تزوج أدولف هتلر وإيفا براون بصورة رسمية وأقدم كلاهما على الانتحار في اليوم التالي مباشرةً عن طريق احتساء السم.

وقد نشرت صحيفة ديلي ميل تقرير أنه قد أعلن الخبير الأمريكي نيك بيلانتوني قد أعلم مؤخرًا من أن اختبارات الحمض النووي التي أجراها على ما يُعتقد أنه قطع من رفات الزعيم الألماني النازي.. أدولف هتلر.. والمحفوظة في موسكو أظهرت أنها ليس رفات هتلر وهو ما يدعم اعتقاد بعض الباحثين ومن بينهم الباحث الأرجنتيني آبل باستي. الذي يؤكد أن هتلر لم يمت أو ينتحر حيث تمكن من الفرار من برلين التي حاصرتها القوات السوفيتية.. ونفى فلاديمير كوزلوف.. نائب مدير الأرشيف الذي تحفظ فيه جمجمة هتلر.. صحة ما أعلنه بيلانتوني.. مشيراً إلى أن الخبير الأمريكي لم يزرُ الأرشيف خلال الأعوام الأربعة الماضية.. مشيراً إلى أنه لا يمكن أن تسمح السلطات للخبير الأمريكي بإجراء فحوص من هذا النوع فيما لو زار موسكو.

وفي معلومات الباحث الأرجنتيني آبل باستي أن السلطات الروسية سمحت للخبير الأمريكي بإجراء الاختبارات على تلك الجمجمة وفق ما أعلنه في مقابلة مع صحيفة «لا كابيتال» الأرجنتينية.

ويُشار إلى أن الزعيم السوفيتي الراحل جوزيف ستالين – حسب قول الباحث الأرجنتيني – قال لقادة دول التحالف المعادي لهتلر إن هتلر فرّ إلى إسبانيا أو الأرجنتين.

كما أفادت وكالة الأنباء الروسية «نوفوستي» غير أنه وبعد وفاة ستالين في عام 1953 تغيرت السياسة السوفيتية.. فبدأت موسكو تؤيد الرواية القائلة بأن هتلر توفي منتحرا في مخبأه في برلين في 30 أبريل 1945. أدرك قادة الرايخ الثالث قبل عامين من استسلام ألمانيا أنهم سيخسرون الحرب.. فخططوا للفرار إلى مكان آمن. ويعتقد الباحث أن هتلر وما بين 20 إلى 30 ألفاً من أنصاره ذهبوا إلى الأرجنتين.. ووافق بيرون.. الرئيس الأرجنتيني آنذاك.. على استقبالهم بمعرفة الإنجليز والأمريكان.وأشار الباحث إلى أنه لم يمكن لهتلر أن يغادر ألمانيا دون اتفاق مسبق مع الولايات المتحدة الأمريكية التي امتلكت محطات الرادار التي تستطيع متابعة تنقلات السفن والطائرات حول العالم.وبحسب الباحث الأرجنتيني.. فإن هناك براهين تثبت أن هتلر لجأ إلى الأرجنتين.. وهناك ثمة وثائق مفادها أن مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي FBI بحث عنه في الأرجنتين. ووفقاً للتقرير المؤرخ في سبتمبر عام 1945 فقد علم مكتب التحقيقات الفيدرالي حينذاك بإتمام الترتيبات لاستقبال هتلر في مدينة لا فالدا الأرجنتينية.

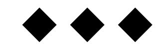
من جانبه.. قال الخبير الروسي فلاديمير بيلوس.. من جامعة نيجني نوفغورود.. وهو ممن لا يؤمنون بهذه الرواية.. إنه لا توجد براهين وشهادات موثقة تؤكد أن هتلر انتحر في أبريل 1945.. إنما توجد معلومات قد تكون تخيلية مفادها أن شخصاً ما عثر على رفات هتلر في حفرة وقال إنها رفات. وأردف الخبير قائلا: طالما لم يقدم أحد أدلة موثقة تؤكد وفاة هتلر في برلين المحاصرة فإن المجال يبقى واسعاً لاختلاق روايات شتى كتلك التي تزعم أن هتلر فر إلى إسبانيا أو الأرجنتين أو القطب الجنوبي.

ابنة أخته جيلي روبال

وهي ابنة أخته من مواليد 1908 وانتحرت في عام 1931 أُشيع أنه أقام علاقة محرمة معها وقد قام بمنعها من التحرك وإقامة العلاقات الاجتماعية وقد أسكنها في نفس سكنه ولم يسمح لها بالخروج إلا معه وقد وجدت مقتولة برصاصة أطلقتها على نفسها اعتراضًا على تلك الحياة .

وفي ذلك تقول أنجيلا لامبرت : لم تكن إيفا العشيقة الأولى لهتلر.. فقد سبقتها إلى ذلك ابنة أخته جيلي روبال وتركت أمها البيت من أجله.. ولم يقتصر الأمر على العلاقة الجنسية المحرمة بل حاولت بعدها جيلي أن تهرب متخذة لها عشاق آخرين فما كان من هتلر إلا أن حاول خنقها بدافع الغيرة.. وكانت تلك بمثابة قصة ثورية من قصص «الجميلة والوحش».

وفي العام 1931 وبعد أن أدركت جيلي أن هتلر لم يكن ليتزوجها لأن ذلك لا يجوز دينيًا ولا حتى تركها تتزوج من غيره أطلقت النار على نفسها.. كان الأمر يبدو كخدعة وحامت الشكوك على هذه الحادثة.. لكن لم يكن هناك أي دليل يثبت تلك الشكوك.. إلا أن الحزن العميق سيطر عليه بعد مقتلها فبقيت غرفتها بمثابة معبده الخاص في منزله حتى انتحاره».

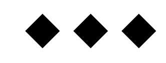


Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

الفصل الخامس عشر

وقائع

محاكمات نورمبرج



تُعد محاكمات نورنبيرج من أشهر المحاكمات التي شهدها التاريخ المعاصر.. وتناولت المحاكمات في فترتها الأولى.. مجرمي حرب القيادة النازية بعد سقوط الرايخ الثالث.. وفي الفترة الثانية.. تمّت محاكمة الأطباء الذين أجروا التجارب الطبية على البشر. وعُقدت أول جلسة في 20 نوفمبر 1945 واستمرّت الجلسات حتّى 1 أكتوبر 1946. عقد الحلفاء جلسات المحاكمات العسكرية في قصر العدل في نورمبرج.. ولعل من أهم أسباب عقد الجلسات في القصر المذكور هو الدّمار الشامل الذي آلت إليه دُور المحاكم الألمانية جرّاء قصف الحلفاء الكثيف إبّان الحرب العالمية الثانية. تناولت المحاكمات بشكل عام مجرمي الحرب الذين ارتكبوا فظائع بحق الإنسانية في أوروبا.. ومن بين الفظائع المرتكبة إنشاء معسكرات الاعتقال للمدنيين الأوروبيين والزج بالمدنيين في تلك المعتقلات التي اتسمت بأسوأ الظروف المعيشية.. فلم يعبأ النازيون بسلامة المعتقلين ولا بتوفير أدنى سبل الراحة في تلك المعتقلات.

تأسيس المحكمة:

وكانت قد بدأ الإعداد لهذه المحاكمات في عام 1943 التقى أقطاب الحلفاء الثلاثة الكبار (الولايات المتحدة الأمريكية.. والاتحاد السوفييتي.. وبريطانيا) في العاصمة الإيرانية طهران.. وقرر الرؤساء في قمّتهم معاقبة المسؤولين عن جرائم الحرب خلال الحرب العالمية الثانية.

وبانتهاء الحرب.. تمّت محاكمة 200 من قادة الحزب النازي الألماني في محكمة نورمبيرج و 1600 آخرون في محاكمات عسكرية اعتيادية خارج نورمبرج. قام أقطاب الحلفاء الثلاثة بتزويد المحاكم بقاضٍ رئيس وقاض آخر بديل.. ومدّع عام. ونذكّر هنا أن فرنسا تمكنت من حجز كرسي لقاض فرنسي ليصبح القضاة 4 بدلاً من 3.

شرعية المحكمة:

لم يكن من حق المتهمين في جرائم الحرب العالمية الثانية اختيار القضاة.. مما جعل الكثير يشكّكون في عدالة ونزاهة سير المحاكمات.. خاصّة أن القضاة أتوا من بلدان تضّررت بشكل فادح على يد المتهمين النازيين. ولعلّ انتداب القاضي الروسي «نيكيشينكو» من قِبل الاتحاد السوفييتي أضفي جانباً سلبياً في نزاهة وعدالة المحاكمات. فلم يتوفّر للمتهمين طاقم من المحامين ليتولى مسؤولية الدفاع عنهم.. كما صاغ القضاة سلسلة من الاتهامات التي لم تستند على أي من الضوابط القانونية لأي من الدول الأربع المشاركِة في المحاكمات.

قائمة الاتهامات

التخطيط والإعداد لإحدى الجرائم التالية:

1. جرائم ضد السلم.

2. جرائم حرب.

3. جرائم ضد الإنسانية.

المتهمون.. وأحكامهم:

- مارتان بورمان حُكِمَ عليه بالإعدام خلف رزدولف هاس كأمين عام للحزب النازي. حُكمَّ عليه غيابياً وعثر على رفاته سنة 1972.
- كارل دونتز حُكِمَ عليه بالسجن 10 سنوات قائد البحرية الألمانية وخليفة هتلر كرئيس لألمانيا.
- هانز فرانك حُكِمَ عليه بالإعدام
- ولهلم فرايك حُكِمَ عليه بالإعدام عمل وزيرًا الداخلية بين 1933 و 1943.
- هانز فريتشه بريء رئيس قسم الأخبار في وزارة الدعاية الألمانية.
- والتر فونك حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة وكان قد عمل وزيراً للاقتصاد وأفرج عنه في 16 مايو 1957 لأسباب صحية.
- هيرمان جورينج حُكِمَ عليه بالإعدام وهو أحد أبرز القادة النازيين والمساعد الأبرز لهتلر.
- رودلف هس قُبِضَّ عليه في بريطانيا سنة 1941 وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة ثم خففت عقوبة الإعدام ضده نظرًا لوضعه العقلي.
- ألفرد يودل حُكِمَ عليه بالإعدام.. ثم أُعلنت براءته غيابيًا سنة 1953 بعد إعدامه.
- إرنست كالتنبرونر حُكِمَ عليه بالإعدام

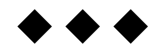
- ولهلم كايتل حُكِمَ عليه بالإعدام
- جوستاف كروب أُعتبر غير قابل للمحاكمة لأسباب صحية.
- روبرت لي زعيم الجبهة الألمانية للشغل. انتحر قبل بدء محاكمته.
- كونستنتين فون نورات كان قد عمل وزيرًا للخارجية من 1932 إلى 1938 حُكِمَ عليه بالسجن 15 سنة ثم أخلي سبيله لأسباب صحية في نوفمبر 1954.
- فرانز فون بابن وكان قد عمل مستشارا سنة 1932 ثم نائب مستشار وسفير لدى النمسا وتركيا.. بُرّيء من التهم الموجهة إليه.. ورغم تبرئته في هذه المحكمة فقد أعادت محكمة اجتثاث النازية اعتقاله في 1947 وحُكِمَّ عليه بالأشغال الشاقة لثمان سنوات أمضى. منها سنتين ثم أفرج عنه.
- إريك رايدر وكان قائد البحرية الألمانية حتى سنة 1943 حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة فطلب من المحكمة إعدامه لكي لا يمضي بقية حياته في السجن إلا أنها رفضت طلبه.. ثم أفرج عنه في 1955 لأسباب صحية.
- يوكايم فون ريبنتروب وكان قد عمل وزيرًا للخارجية وسفيرًا لدى بريطانيا وهو أحد واضعي مخطط غزو بولونيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي.. حُكِمَ عليه بالإعدام.
- ألفريد روزنبرج هو منظّر السياسات العنصرية النازية.. حُكِمَ عليه بالإعدام
- فريتز ساوكل حُكِمَ عليه بالإعدام قام بنقل خمسة ملايين شخص للعمل الجبري في ألمانيا بنظام السُخرة.
- هيلمار شاخت عمل رئيسًا للبنك المركزي الألماني ووزيراً للاقتصاد قبل الحرب.. تم تبرئته.
- بالدور فون شيراخ قائد الشبيبة الهتلرية من 1933 إلى 1940 حُكِمَ عليه بالسجن 20 سنة
- آرثر سايس انكوارت عمل مستشارًا للنمسا سنة 1938 وساعد على «الأنشلوس» (توحيد ألمانيا والنمسا) وعُيّنَّ حاكمًا لهولاندا أثناء احتلالها واستنزف اقتصادها واضطهد الأقليات اليهودية بها.. حُكِمَ عليه بالإعدام

- ألبرت سبير هو صديق هتلر المقرب.. عمل مهندسًا لدى الفوهرر ثم وزيرًا للتسليح منذ 1942 وقام بإجبار أسرى الحرب على العمل في صناعة الأسلحة.. حُكِمَ عليه بالسجن 20 سنة
- جوليوس شترايخر حُكِمَ عليه بالإعدام.

* ولا ينسى التاريخ صورة النازي وليم فرانك وهو عاري الجسد والدم يتساقط من رأسه بعد عملية الإعدام تمت عملية الإعدام شنقًا بحق القادة النازيين صباح 21 ديسمبر 1946 حيث أُعدم في هذا الصباح أكثر من 85 قيادياً نازياً.

وبعد سقوط الحكم النازي مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 أُعلِنَّ عن الحزب النازي ككيان غير قانوني في ألمانيا.. ويمنع استعمال رموزه ونشر أفكاره.

ولم يكن الاسم الأصلي لألمانيا قد تغير عندما جاء النازيون إلى الحكم عام 1933 بل بقي كما هو Deutsches Reich أي الإمبراطورية الألمانية وهو الاسم الذي سميت به منذ العام 1871 لكن في العام 1943 قامت الحكومة النازية بتعديل الاسم إلى الإمبراطورية الألمانية العظمى Großdeutsches Reich الذي بقي مستعملاً إلى العام 1945 حين هزمت ألمانيا النازية.. في حين استعمل الحزب النازي أسماء أخرى منها الإمبراطورية الثالثة Drittes Reich وإمبراطورية الألف عام Tausendjähriges Reich لوصف ألمانيا.. إلا أنه أسقط استعمال وصف (إمبراطورية الألف عام) من إعلامه الرسمي في العام 1939 لتجنب السخرية.





Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

خاتمة

هتلر ..وماذا
تبقى منه ؟!!

◆◆◆

كتب هتلر يقول في كتابه «كفاحي» أنه كان يتوق دائماً للحياة في مدينة ألمانية «حقيقية».. وعلى ضوء المشاهد المضطربة التي كانت تحدث في البرلمان في عهد الملكية النمساوية متعددة الجنسيات.. قرر هتلر عدم صلاحية النظام البرلماني الديمقراطي للتطبيق.. وبدأ يصنع ألمانيا جديدة على طريقته الخاصة..لكن أحلامه تبددت كحلقات الدخان.. وتمزقت أوصال وطنه تحت مقصلة حساباته الخاطئة.

وشهدت ألمانيا خلال فترة حكم الحزب النازي انتعاشاً اقتصادياً منقطع النظير.. وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشاً لم يترك مواطناً ألمانيا بلا عمل. وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازي هتلر ترتفع إلى السماء.

وبعد انتحار هتلر.. واجتياح وتدمير برلين.. وانتهاء أحداث الحرب العالمية الثانية انتهى المطاف بقادة الحزب النازي إلى الانتحار على طريقة زعيمهم أدولف هتلر.. وتم تأسيس محكمة في مدينة نورمبرج في جنوب وسط ألمانيا عرفت بمحاكمات نورمبرج واستمرت لمدة سنوات وفيها تم محاكمة قيادات النازية المتورطين بجرائم ضد الإنسانية وحوكموا محاكمة شَكَكَ الكثيرون في نزاهتها ونفذ حكم الإعدام شنقًا بحق عدد كبير منهم بالشكل الذى تحدثنا عنه وتم تصوير جثثهم بعد عملية الإعدام وهم عراة من غير ملابس.

والآن بماذا عسانا نجيب على السؤال الأبدي الذى يتردد دوماً خلف تاريخ كل طاغية.

ماذا تبقى من هتلر؟

التاريخ يقول : إنه لاشيء سوى محاولات مختلفة لتفسير الظاهرة الهتلرية مبنية أساساً على اجتهادات شخصية بحتة.

وإشاعات تثير الخلاف حول مسألة انتحاره من عدمه.. ونظرة تاريخية ليست في صالحه على الإطلاق.. خاصةً من الأجيال التى تلت عصره.. لما خلفه هو وحزبه النازي من آثار سلبية.. ومدمرة شملت العالم بأسره.

ويصف المؤرخون والفلاسفة والسياسيون النازيين بكلمة «شريرة» من منطلق غير ديني وأيضاً من منطلق ديني

وتدين الصورة التاريخية والصورة الحضارية التي يتم رسمها لهتلر في الغرب إلى أقصى الدرجات.

ويحظر عرض الصليب المعقوف أو غيره من الرموز النازية في ألمانيا والنمسا. كما يحظر إنكار الهولوكوست في الدولتين.

أما خارج المبنى الموجود في مدينة Braunau am Inn في النمسا حيث ولد هتلر فيوجد نصب تذكاري لم يقم من أجله.. وإنما أقامته النمسا للتحذير من ويلات الحرب العالمية الثانية

وخارج مسقط رأس هتلر في مدينة Braunau am Inn.. يوجد في النمسا شاهد قبر حجري محفوراً عليه الرسالة التالية بشكل غير مترابط:

«من أجل السلام.. الحرية.. والديموقراطية لا فاشية مجدداً أبداً فملايين القتلى يذّكروننا بما حدث».

إرث فاسد.. وإعجاب غريب

وعلى الرغم من ذلك.. يتحدث البعض عن الإرث الذي خلفه لنا هتلر بطريقة محايدة وإيجابية.. فالرئيس السادات.. كثيراً ما كان يتحدث عن «إعجابه» بهتلر في عام 1953 عندما كان شاباً صغيراً.. على الرغم من أنه قد يكون يتحدث عنه في إطار تمرده على الإمبراطورية البريطانية.

كما أشار إليه لويس فراخان بوصفه «رجل عظيم جداً»..

وكتب المؤرخ الألماني فريدريكماينك.. عن هتلر قائلاً:

«إنه واحد من أفضل النماذج الفريدة والاستثنائية على قوة الشخصية التي لا يمكن التنبؤ بتصرفاتها أبداً».

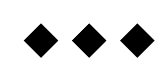




Hitler .. Messenger on the war in the twentieth century and the dream of empire blue blood

ملف صور







هتلر طفلاً

❋❋❋



والد هتلر

لويس هتلر



صورة أخرى لوالد هتلر

***



كلارا هتلر الأم



Deutsche Arbeiter-Partei (D. A. P.)

Mitgliedskarte

Nr. [redacted]

نسخة من بطاقة العضوية المزورة الخاصة بهتلر

في حزب العمال الألماني (DAP).



هتلر ومجموعة من زملاءه أثناء الحرب العالمية الأولى



أدولف هتلر وهو يطل من نافذة الرايخستاج في أول يوم له كمستشار الرايخ



احتفالية نوريمبرج



أدولف هتلر عام 1933



استعراض عسكري لقوات كتيبة العاصفة وهي تمر أمام هتلر.مدينة نورمبرج ، شهر نوفمبر من عام 1935.



أحد اجتماعات حزب العمال الاشتراكي الوطني، عقد في ديسمبر من عام 1930 ويظهر هتلر في المنتصف وفي الخلف صورة الصليب المعقوف



لوحة لهتلر تم رسمها في عام 1923



هتلر مع بعض زملائه أثناء الحرب العالمية الأولى



EXTRA THE STARS AND STRIPES EXTRA

HITLER DEAD

Fuehrer Fell at CP, German Radio Says; Doenitz at Helm, Vows War Will Continue

Churchill Hints Peace Is at Hand

صحيفة ألمانية تعلن موت هتلر

هذا هو توقيع هتلر



إيفا براون عشيقة هتلر مع كلبها



ومع هتلر



وصورة أخرى لها مع هتلر وهو في لحظة استرخاء



هتلر مع كلبه الذي قتله بيديه وبعدها انتحر



إيفا براون مع هتلر في يونيو 1942



أدولف هتلر وبينيتو موسوليني أثناء الزيارة التي

قام بها هتلر لفينسيا في الفترة ما بين الرابع عشر والسادس عشر من يونيو في عام 1934.



محكمة نورنبيرج

الصف الأول(من اليسار إلى اليمين) : هيرمان غورينغ.. رودلف هس.. يوكايم فون ريبنتروب.. ولهلم كايتل .

الصف الثاني (من اليسار إلى اليمين): كارل دونتز.. إريك رايدر.. بالدور فون شيراخ.. فريتز ساوكل.



هنا انتحر هتلر



(صور مختلفة لمحارق الهولوكوست)

تعرض آلاف الجثث











مئات من بقايا جثث المحارق



جندي أمريكي يقف بالقرب من حافلة تحمل أكوامًا من بقايا جثث خارج أحد الأفران الخاصة

بإحراق جثث الموتى في معسكر اعتقال

الفهرس